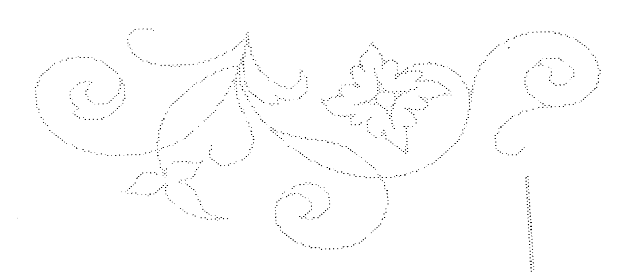
إرهابيون!!

شعر
عبد الجواد طايل



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
٢٠٠٤

اسم الكتاب: إرهابيون

المؤلف: الشاعر عبد الجواد طايل

التجهيزات الفنية والطباعة والنشر: مؤسسة روز اليوسف

الإشراف الفنى وتصميم الغلاف: محسن رفعت

رقم الايداع: ٢٠٠٤/١٥٣٥٣
الترقيم الدولى: I.S.B.N 977-201-108-5

إهداء

إلى كل من يبذل روحه
فداءً للحرية والعزة والكرامه



مهزله

إنّها مهزلَهْ
هؤلاءِ الخفافيشُ والقَـتَلهْ
قد أتوْا بالمشانِقِ والمقصَلَهْ
يَبحثونَ عن النِفطِ تحتَ الجماجمِ
والجُثَثِ المُهملَهْ
يزرَعونَ الحقولَ بألغامهم
يَحرِقونَ السنابلَ سُنبلَةً.. سُنبلَه
يَذبحونَ البراءةَ بالطائراتِ الأباتشىَ
والقُنبلَهْ
والوكالاتُ لمّاتزلْ تتسابقُ
تسألُ عن سَببِ الحربِ والضَربِ
والكرّ والفرّ والهَروَلَهْ!

وتحاولُ فَــكَّ الــرمــوزِ وحـــلَّ المعــادلـــةِ المستحيلةِ

والمُعضِله!

والمذيعُ يُطلُ علينا

ليستأنفَ المسرحيةَ والحكْيَ والسَّردَ

والبلَبلَهْ!

آهِ ما أبطأَ الوقتَ.. ما أتفَهَ الكلماتِ المعادةَ

والأسئِلَهْ!

وملوكُ الطوائِفِ تخشى علي مُلكِها

ليس فى وُسعِها

أن تعبِّرَ إلا مُتمتِمَةً كلما الخطبُ أوشكَ

بالحوقَلَه!

أن تردَّ على الهجمةِ البربريةِ بالأمنياتِ

وبالدعواتِ.. وبالبَسمَلَهْ!
يشجُبونَ ويسَتنكِرونَ
ويقتصرُ الشّجبُ والرفضُ واللومُ
فى كلّ طلعةِ سْربِ تدكُّ عظامَ العراقِ
جنوداً وشعباً
على الضيقِ والمَلمَلَهْ!
والصَّبيّةُ تنسلُّ من خدرِها
كى تذودَ عن الأرض والعِرضِ
عن كَربلاءَ الحزينةِ
مسْتبسِلَهْ
والشّهيدُ الذي يتهجّى حروفَ الشهادةِ لا
يرهَبُ الموتَ يصرُخُ
ما أهونَ العيشَ فى ظلّ هذي النفاياتِ

ما أثمنَ الموتَ

ما أرفعَ المنزِله

ونخيلُ العراقِ يئنُّ ولا يستكينُ

ويشكو ولا ينحنى

ويقاومُ فى كبرياءِ هولاكو الجديدَ

وعُصبَتَهُ المُرسَلهْ

ويطاولُ كلَّ نجومِ السماءِ شموخاً وزهواً

يكبِّرُ.. يسجُدُ للّهِ

يقرأ فى الفجرِ سورةَ «طه» و«يس»

والزلزله!

***

أيُّها الجالسون على عرشِكُمْ

إجلسوا ألفَ عامِ

فما المشكلَهْ؟!

وكلوا واشرَبوا وامزحوا.. وافرحوا

وافتحوا كلَّ يومٍ خزَائنكم هذهِ المُثقلَهْ

وأعدّوا قواعِدَكم ومطاراتِكُمْ

لجيوش التّتارْ

وأطِيعوا أوامِرَهم في انكسارْ!

واطمئنوا فلا صوتَ يعلو على قاذفاتِ الدّمارْ

واستمرْوا أشقّاءَ يوسُفَ عاماً فعاماً

على هذِه الهلهلَه!

علّهم يَشفعونَ لكم

علّهم يُشفقون عليكم فتنجون من بطشِهم

عندما تبدأ الجولةُ المُقبلَهْ!

***

أوقفوا المهزله

أيها المارقونَ.. قراصنةَ الجوّ والبحرِ والبرّ

أحفادَ هتلرَ

لم تنتهِ الأمثلَهْ

فعصاباتُ جيشِ التحالُف.. جيشِ التآمُرِ

جيشِ التخاذُلِ والعارِ لمَّا تزلْ

تحصُدُ الآمنينَ من الطفِل للشيخِ

مُسترسِلَهْ!

لم تُميّز عناقيدُكم بينَ وجهِ الجنودِ

وبينَ التلاميذ فى الفصلِ

والسابِلَهْ!

بينَ إغفاءَةِ الرافدينْ سلاماً وأمناً

وبينَ دوىِّ المدافعِ والمروَحيَّاتِ

والجلجلَه

***

أوقفوا المذبَحَهْ

قد أتيتم هنا تعرضون وتستعرِضونَ بأرضِ

الفُراتِ ودجلَة

تَرسانةَ الأسلِحَهْ!

تَهدمونَ البنـايـاتِ ثُمَّ تُقيمونَ من فوق

أنقاضها الأضرحه!

تخنقون ببغداد والناصريّةِ

صوتَ البلابِلْ

كي تغرِّدَ عبرَ الفضا والمدى

فوق كلِّ المآذنِ

كلّ الكنائس

أمُّ القنابلْ!

تنقشونَ الخرابَ على سعفاتِ النخيلِ

وفوقَ غصونِ الأساطيرِ

بينَ حدائق بابلْ

وتقصّونَ ريشَ العصافيرِ

والأجنِحَهْ!

أوقفوا المهزلَه

فغداً سوفَ يسحقُ هاماتِكم ويثورُ نخيلُ العراقِ

رويداً.. رويداً

ومرحلةً.. مرحلَهْ

وغداً قد تحنونَ من شدّةِ الذُعرِ

فى المدُنِ المستحيلةِ

والمُذهِلَهْ

للنهايةِ والموتِ بالضربةِ العاجِلَهْ

وغداً يُصدرُ اللّه أحكامَهُ

أيُّها الظالمونَ

فما أعدله!!!

***



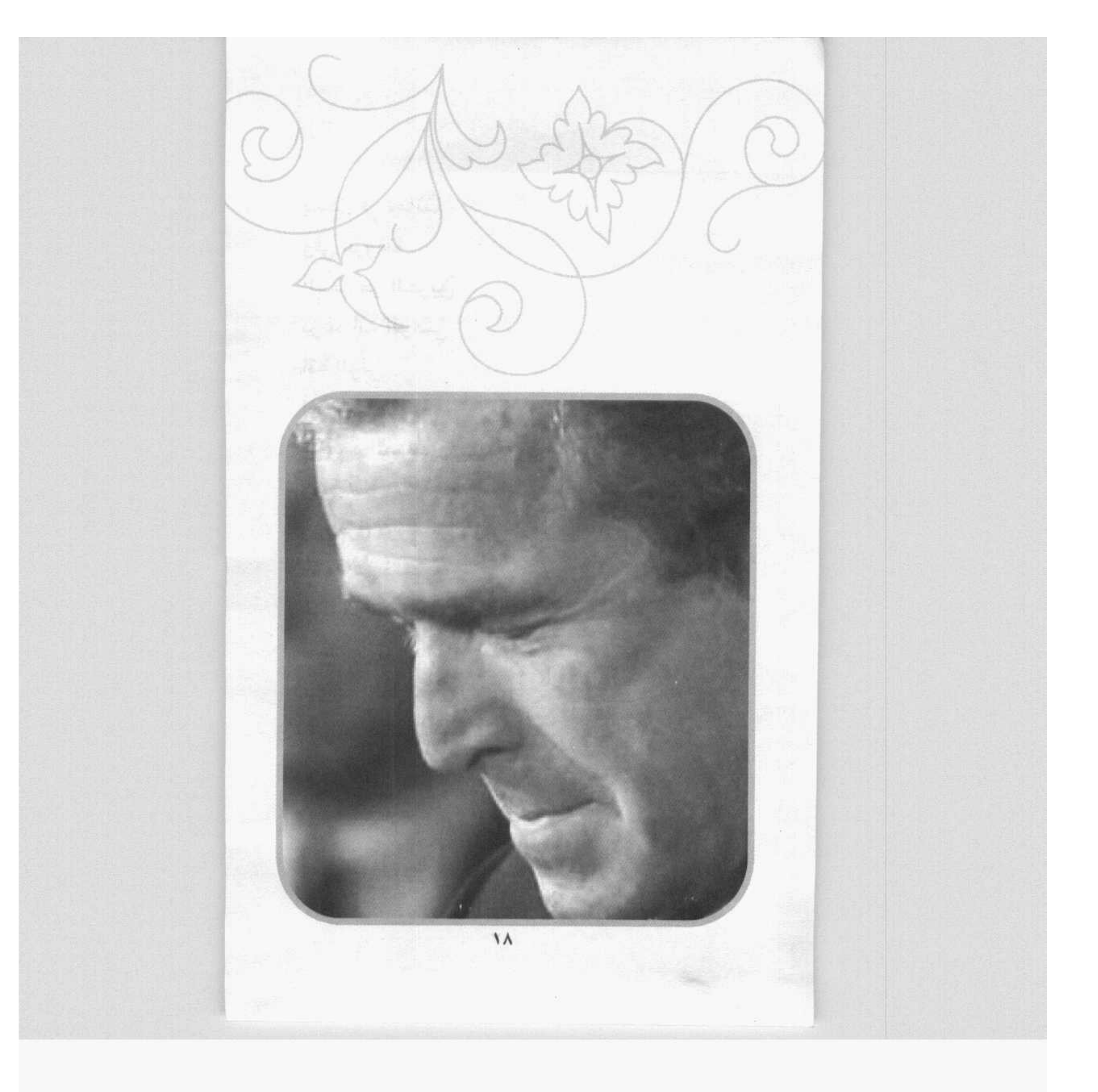
ذات عيد

عيدٌ بأيّةِ حالٍ عدتَ يا عيدُ
بما مضى أم لأمرٍ فيكَ تجديدُ
«المتنبى»

وحينما استقبلتُ عاميَ الجديدْ
وقالَ كلُّ من أَتَى مُهنّئاً
«عامٌ سعيدْ»!!
صَرَختُ
أيّ عيدْ؟!
ولم تزلْ تسقُطُ كلَّ لحظةٍ
شهيدةٌ
وكلّ ساعةٍ شَهيدْ
ولم تزلْ
تُنصَبُ كلَّ ليلةٍ
مَشانِقُ

للشيخِ .. والصبيِّ .. والوليدْ!
ولم يزلْ هناكَ مسجِدٌ
مُحاصَرٌ
وقِبلَةٌ حزينةٌ
وطفلةٌ يتيمةٌ
وامرأةٌ أرملةٌ
وفارسٌ شريدْ !
ولم نزلْ
نُسرفُ فى سُباتِنا العميقْ
نَمُدُّ كفَّنا إلى الذي يدوسُنا
ويَستحلُّ أرضَنا
ويَستبيحُ عِرضَنا
ويعتدى على مُقدَّساتِنا
من كربلاءَ حتى قدسِنا
ومن رُبي الجولانِ للفُراتِ
لم يزلْ

يُشعِلُ في دمائِنا
وفي عروقِنا
ألسنةَ من الحريقْ!
بزعم أنّهُ الوصيُّ
أنّهُ الوليُّ
أنّهُ الصديقْ!
والسيّدُ المُهابُ والمُطاعُ فى عالمِنا المجيدْ!
وكلّنا فى مُلكِهِ عبيدْ
ولم نزلْ نَروح فى غيبوبةٍ طويلَةٍ
تُشبِهُ فى ظلَمتها
غيبوبَةَ الغريقْ!
مُصدّقينَ كلّ مايُقالُ مُنذُ وعدِ بلفورَ إلى
خريطةِ الطريقْ!
تُرى مَتى نُفيقْ؟!
تُرى مَتىَ نُفيقْ؟!
ترى مَتىَ نُفيقْ؟!



إرهابيون

إرهابيونْ

من جولدامائيرَ إلى شارونْ!

من بن جوريونْ

لبيريزَ لناتينياهو إلى باراكَ

لكلِّ بنى صهيونْ!

من جونسونَ حتَّى بوشَ . . ومن نيكسونْ

لكولن باول(١) ورامسفيلد(٢)

من أوّلِ سيناتور بالكونجرس لآخرِ جندىٍّ

---

(١) وزير خارجية أمريكا فى عهد الرئيس جورج بوش «بوش الابن»
(٢) وزير الدفاع الأمريكى فى عهد بوش.

بالبنتاجونْ!

إرهابيونَ ومغتصبونَ وأفاكونَ وسفّاحونَ

وكذّابونْ!

مُذ فجر التاريخ ومن قبلِ بدايةِ سِفْر التكوينْ!

من أوّلِ فرعونَ وهامانَ

ومُنذ نبوءَة موسى كليمِ اللّهِ وهارونْ!

نكثوا بعهود الرُسلِ

بموسى.. وعيسى وأحمَدَ

ينكثُ.. من ليس لهُم

عهدٌ أو دينْ!

إرهابيونَ ونازيونَ وفاشيونَ وضدّ الأديانِ

جميعاً

موسولينى وهتلر وسلوبودان(١)

وبرلسكونى(٢)

وجورج وتونى بلير

ونابليونْ!

من قيصرَ روسيا

لجانكيز خانَ وهولاكو

لملاحدةِ القرنِ العشرِينْ!

من ريتشاردَ زعيم الحملاتِ الإرهابيّةِ

ضدَّ الشرقِ.. وضدَّ القدسِ

وضدّ صلاح الدينْ!

---

(١) الزعيم الصربى صاحب المجازر الشهيرة بالبوسنة والهرسك فى التسعينيات

(٢) رئيس وزراء إيطاليا

إرهابيونْ

من قلبِ البيت الأبيضِ فى أمريكا

من موسكو لحدود الصينْ!

إرهابيونْ

فى دير ياسينَ وفى صابرا وشاتيلا وقانا

وعين جالوتَ وحطّينْ!

فى يافا وغزّةَ وجنينْ!

إرهابيونْ

لا فرقَ لديهم بين المهدِ (١) وبينَ الأقصى

والأزهَرْ!

لا فرقَ لديهم بينَ اليابِسِ والأخضَرْ!

(١) كنيسة المهد

لا فرقَ لديهم

بينَ دمشقَ وبيروتَ وبغدادَ ومكّةَ

وفلسطينْ!

إرهابيونْ

إرهابيونَ وينتحلونَ صفاتِ الرحمة يفتعلونَ

الذودَ بلا خجلٍ

عن كلِّ حقوقِ الإنسانْ

والحيوانْ!

وعن الأديانْ!

وعن الأطفالِ الرضَّع والنسوةِ

في كلِّ مكانْ!

من إفريقيا للهندِ لتلِّ أبيبَ

ومن بغدادَ إلى الشيشانْ

من تُركتسانَ إلى السودانِ إلى الصومال إلى أفغانستانْ!

من أجلِ عيونِ العولمةِ السوداء وأجل بقاء العالم فى أمنٍ وسلامْ!

من أجلِ رغيف الخبزِ وأجلِ القمحِ

وأجل رخاءِ الإنسانيةِ والحريَةِ

والفقراءِ.. وتلوينِ الأحلامْ!

إرهابيونَ وقد برعوا

فى كلّ فنونِ الكذبِ وفى تعليبِ الزيْفِ

وفى تصديرِ الأوهامْ!

إرهابيونَ ويرتعدونَ كأنّ بهم

مسّاً من جان

إن رحتَ تُجادلهم بالحقّ

وبالإنجيلِ

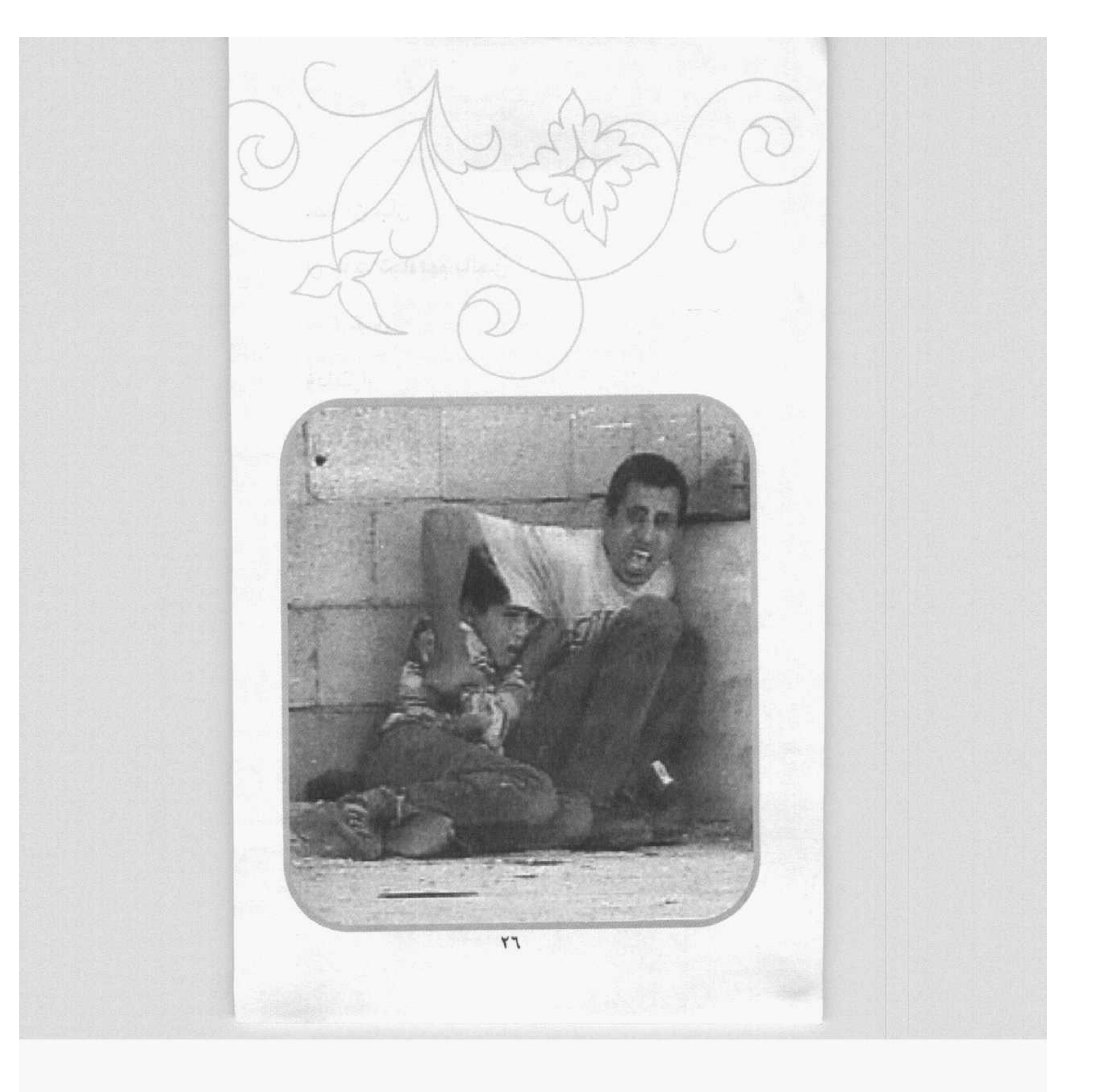
وبالقرآنْ

أو قلت لهم

إنّ المستقبلَ مهما طالَ الليلُ الغاشِمُ

للإسلامْ!

***



رسالة من الطفل دُرَّه (*)

إلى زعماءِ العروبةِ والمسلمينَ جميعاً

من الشامِ للنيلِ للمغربِ العربىّ

ومن بيتِ لحمٍ إلى الحرمينِ الشريفينْ

ومن كرَبلاءَ إلى المسجد الأُموىّ

ومن أُمِّ دُرمانَ للرُكّعِ السُجَّدِ العاكفينَ

بعاصمةِ الألفِ مئذنةٍ فى رحابِ الحُسَيْنْ

ومن ساحةِ الشّهَدَاءِ بغزّه

إلى كلِّ مُستضعَفٍ وأبىّ

أنا الطفلُ دُرّه

---

* الشهيد محمد الدرة الذى قتله الجنود الإسرائيليون وهو فى حضن أبيه أثناء ولاية باراك

سَقطتُ شهيداً هنا فوقَ صدرِ أبى
ببعض رصاصاتِ جُندِ اليهودِ وباراكَ ذاكَ الغبىّ
على حين غِرَّه!
وكنتُ أتمتِمُ فى السِّرِ - ساعَتها - بنداءٍ خفىّ
وأدعو كثيراً
بأن تَتطهَّرَ أرضى
وأن يحفظَ اللّهُ أمى وأختى وعِرضى
ويرفَعَ هذا البلاءَ عن القُدسِ ذاتَ صباحٍ
لتُصبِحَ حُرَّه
أنا الطفلُ دُرَّه
أنادى عليكم لتستيقظوا أيُها العربُ النائمونْ

فقد مزّقتنا الخلافاتُ مُنذُ ملوكِ الطوائفِ
وافترَسَتْنا العداواتُ مُنذُ شتاتِ القرونْ!
وفي كلّ مرَّه
نغنّي ونبكي على طَلَلِ!
«إننا عائدونْ»..!
ونذرفُ مليونَ مليونِ عَبْرَه!
ويسقُطُ ألفُ شهيدٍ.. بلا ثمنٍ
وبلا أيّ عِبرَه
وتأكُلُنا حَسْرَةٌ بعدَ حَسْرَه!

***

أنا الطفلُ دُرَّه
سَقَطْتُ شهيداً - كما يسقطُ البَشَرُ الطيبونَ
هنا

أو كما يسقُطُ الأبرياءْ

بكلِّ صباحٍ.. وكلِّ مساءْ

فلستُ بأوّلِ طفلٍ بريءٍ ينالُ الشّهادَه

ولستُ الأخيرَ من الشُهدَاءْ!

أُذكِّرُكُم وأنا راحلٌ،

بأنّ هنا أوَّلَ القِبلَتينْ

وأنّ هنا ثالثَ الحرمَينْ

وأنّ هنا القُدسَ والقادمينَ من الشرق

والغربِ

يستشرِفونَ الحضارةَ

يستنشِقونَ رحيقَ العباده!

هنا جاوز المصطفى ذات ليل حدودَ الوجودِ

إلى سِدرةِ المُنتهى بالسّماءْ

ليَلقى السلامَ على صفوةِ الأنبياءْ

ويُهدى إلى القدسِ أغلى وسامِ

وأرقى قِلاده!

أُذكّرُكم وأنا راحلٌ

بأنّ فلسطينَ ليستْ مُجَّردَ أرضٍ

وليستْ مُجّردَ شعبٍ

وليسَ الهتافُ بتطهيرها كلَّما دنَّسوها

مُجرّدَ عاده!

وليسَتْ قصيدَةَ شعرٍ تُغنّى

متى جلَدوا كلَّ أطفالها دونَ رفقٍ

ودونَ هواده!

وإمّا استباحوا مساجدَها ومآذِنَها وكنائِسَها

واستحلوا الدّماءْ!

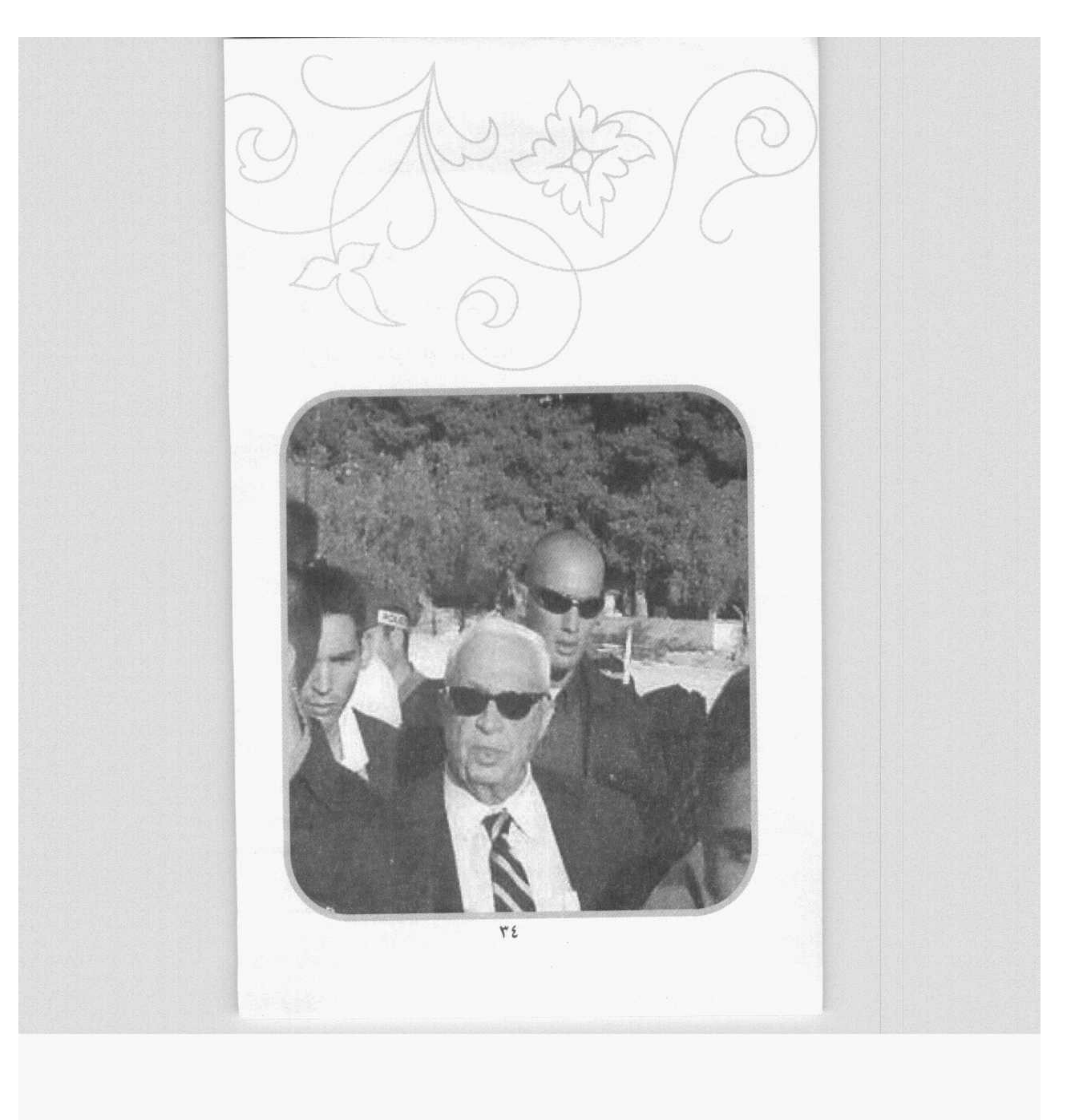
أنادى عليكم لتستيقظوا أيُها الراقدون
كفاكم بَلادَه!
فلن ترجِعَ القدسُ بالعنتريّاتِ
والأغنيات المُعادَه
وشعرِ الرّثاءْ!
ولن يتحرّرَ شبرُ من الأرضِ أو مسجدٌ
بالشعاراتِ أو بالهتافاتِ
أو بالبكاءْ!

***

أنادى عليكم لتستيقظوا أيُها الغافلون
فلما يزلْ حلمُنا مستحيلاً!
فأطفالُنا بينَ أوطانِهم غُرباءْ
وأحفادُنا كُلّهم غُرماءْ

بلا رايةِ
وبغيرِ لواءْ
فما عادَ في رَبعِكُم ابنُ زيدِ
أو ابن الوليدِ أو ابن زيادْ
لكي نتعلَّمَ منهم فنونَ القياده!
أفيقوا
وإلاّ سنُصبحُ مثلَ ثمودِ وعادْ
إذا سلّطَ اللّهُ يوماً علينا
أكُفَّ الفَناءْ
وريحَ الإباده!

***



إلى شارون

حينما تغتالُ أطفالاً صغارا
حينما تقتلعُ الأخضَرَ واليابِسَ كالإعصارِ
تجتثُّ الديارا
وتصبُّ الحقدَ ألغامًا ونارا !
حينما تذبحُ شيخاً طاعنا !
وهو فى المسجِد يدعو ويصلى آمِنا
حينما تأخُذكَ العزّةُ بالإثمِ فتمضى
ناشِراً فى الأرضِ طغيانًا . . وبُهتانًا . .
وإفكًا ودمارا !
حينما تختال فوقَ الجُثَث المذعورةِ الأعيُنِ
كالأبطالِ
زهوًا وفخارا !

ثُمَّ تشتمُ رحيقَ الموتِ
نشوانًا
فتغدو مُدمِنا!
كُلّما يُهدَمُ بيتُ
أو يصيرُ البيتُ فى غمضةِ عينٍ
مَدْفَنا!
حينما تحسَبُ أن الله قد ينساكَ
بعضَ الوقتِ
فاعلمْ
أن للكونِ آلهًا
أن للقدسِ آلهًا
أن للأقصى آلهًا
سوف يحميهِ ويحمى الأرض مهما عثتَ فى
الأرضِ فسادًا
وتحدّيتَ النهارا!

حسبُنا اللّهُ الذى قد حرّمَ الظُلمَ عليه
فلتذُق شارون طَعَم الذُلِّ مدحورًا
بسيفِ الله والإسلامِ
مقهورًا .. طريدًا .. مُذعِنا!
كُلما ازددتَ عُلوًا وعتوًا
زادك الله خسارا
وانكسارا!

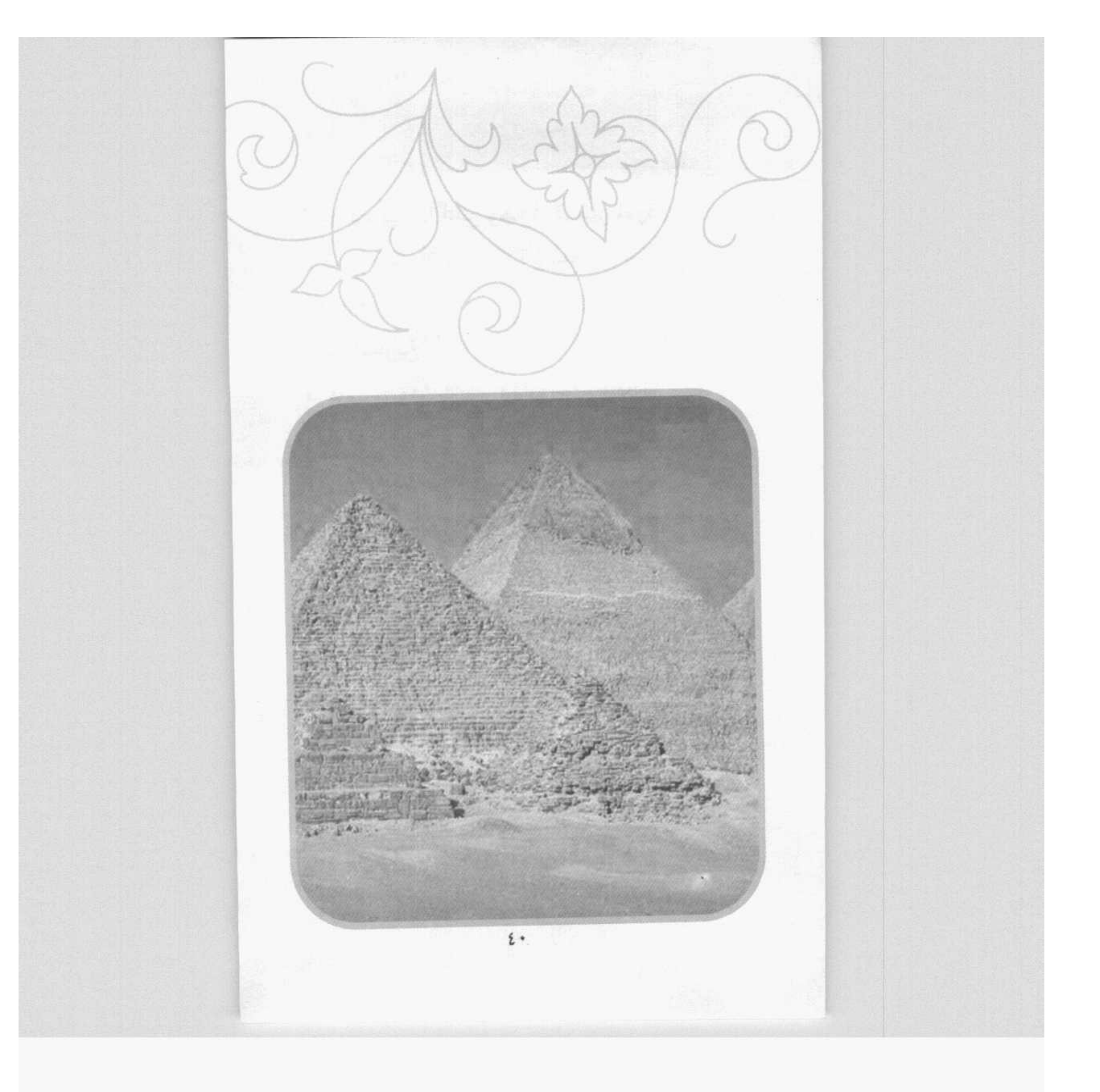
***

عندما لا صوتَ يعلو أو صَدَى
وعلى طولِ المدى
غير ذكر الله والقرآنِ فى قلب المدينه
والعباداتُ تؤدَّى فى خشوعٍ وابتهالٍ
وسكينه
تُصدرُ الأمرَ بتدنيسِ المكانْ
واقتحامِ المسجدِ الأقصىَ وقد حلّتْ

صلاةُ الفجرِ وارتحنا إلى صوتِ الأذانْ!
وركعنا وسجدنا فى أمانْ
بينما أجنادُكَ الحمقى على الأبوابِ فى شوقٍ
إلي سفكِ دمانا
وإلى ترويعِنا بينَ شهيدٍ ورهينه
عندما يُغريكَ صدرُ العم سامْ
حيثُ تصحو وتنامْ
آمناً فى حضنه الدافئِ مزهوًا
بذاكَ الصولجانْ!
وعيونُ القدسِ ما نامت..
ومازالت حزينهْ!

أيُّها العربيدُ يا أقبَحَ وجه فوقَ ظهرِ الأرضِ
لا تفرحْ بما يأتيك كم يسقط باغٍ . .
وجَبانْ!
اسألِ التاريخَ
فرعونَ . . وهامانَ . . وقارونَ . . وعادًا
وثمودا
والأُلى عاثوا فسادا وجحودا
هؤلاءِ المستبدون طغوْا
فاستحالوا أثرًا من بعدِ عينٍ
تحت أنقاضِ الزّمانْ!

***



كعبة العرب

إلي ضفافكِ حجَّ العُرْبُ واعتمَروا
وهرَولَت للقاءِ البيدُ والحَضَرُ

من كلِّ فجٍ عميقٍ فى الوجودِ أتوْا
يضمُّهم مجلسٌ حانٍ ومؤتَمرُ

وفى رباكِ غفت عينٌ مُسهّدَةٌ
بالأمس قرَّحَها الإعياءُ والسَّهَرُ

وفوق صَدرِكِ كالأطفالِ فى دعةٍ
نامت جراحٌ وراح الدمعُ ينحدِرُ

يا مهدَ يوسُفَ والتاريخُ كان أباً
وشاهدًا يومَ باتَ الغيثُ ينحَسِرُ

سبعٌ عجافٌ بدت والأرضُ قاحِلةٌ
ولم تزلْ للندى والعُشبِ تفتقِرُ

فأمَّن العيشَ أعواما بلا سَرَفٍ

حتَّى همى .. فجأةً.. واستيقَظَ المَطَرُ!

فكان خيرَ حفيظٍ فى خزائِنِه

كأنه العدلُ فوق الأرضِ أو عُمَرُ !

هذا هو النيلُ منذ البدءِ حارسُها

وكلّ عاتٍ على شطيهِ ينكَسِرُ

وكلّ من حاولَ الإقدامَ فى صَلَفٍ

ولامست قدماهُ النهرَ يندَثِرُ

هذى الحضارةُ تُنبى عن ملامِحِها

أهرامُنا حَجَرٌ من فوقه حَجَرُ

تكادُ تنطِقُ بالأمجادِ كلّ غدٍ

وكيف كانت على الأزمان تنتصر!

يا سادَةَ العُربِ إنَّا ها هُنا وَطنٌ

بكلِّ ذى لهجة فى الضّادِ يفتخِرُ

فمن مراكشَ حتى الشام دولتنا
ومن فلسطينَ للبحرين تنصَهِرُ

وكلنا إخوة عمان أو تعز
بغداد أو بيروت والسودان أو قَطَرُ

قد وَحّدتنا صِلاتٌ لا مثيلَ لها
ومنذُ آدمَ - فجراً - ضمَّنا قَدَرُ!

دمٌ ودينٌ وأرحامٌ ومرحمةٌ
وأمنياتٌ لنا فى ظلّها وَطَرُ

ومروَةٌ وصفا للسعى بينهما
وكعبةٌ نلتقى فيها ونعتمِرُ

ومصرُ أمٌ رؤومٌ لا يزالُ لها
فى كل عاصمةٍ أو دارةٍ أَثَرُ

أنتم نجومٌ. وكلّ الكون يحسدُكم
ومصر دون مراء بالسما قمر!



سيدة من سراييفو (*)

أيها الإخوة فى كلِّ بقاع المسلمينْ
بعد إلقاءِ التحيّهْ
أدرِكونى
وأجيبونى على كلّ سؤالْ
دون تزييف وميْنٍ وضلالْ
واقطعوا الشك بسيف من يقينْ
قبل أن تعصف بى ريحُ الجنونْ
ما الذى أهلكَ إخوانى وأهلى
دون أقوامِ البريّهْ؟
ما الذى أحدَثَ هذا الثقْب فى أرض
السفينْ؟

(*) من ملفات مجازر الصرب فى البوسنة والهرسك فى التسعينيات من القرن العشرين

وأحالَ الأمّةَ العُظمى إلى ألفِ غريقٍ
وضحيّه؟
ما الذى أشعَلَ نيرانَ القرونِ الجاهليّهْ؟
والحروب الطائفيّهْ؟!
وأثار الفرقة العمياءَ والحقدَ الدفينْ
بعد آلاف السنين؟
بعد أن كانت لنا في الشرق والغرب
جذورٌ راسخاتٌ وقويهْ
وعُرى وُثقى ودينٌ . .
أيّ دينْ!
وكتابٌ أنقذ الإنسانَ من هولِ الخرافاتِ
وزيفِ الترّهاتِ الوثنيّهْ
وأعادَ البشريّهْ
بعد أن كانت لها ألفُ هويه
للهدى والنور والحق المبين

هذه أخبارُكمُ يا أمّةَ الإسلامِ
فى كل صباحِ وعشيّهْ
خجلاً يندى لها كلُّ جبينْ
فى صحيفات أوروبا
وعلى شاشاتِ تلفازاتِ إفريقيا
وأمريكا وآسيا
وإذاعات الرفاقِ العربيَّهْ
هذه سيدةٌ مطعونةٌ فى كل شىءِ
بوسنويّهْ
من سراييفو تناديكم وفى أحداقها
صمتٌ وإطراقٌ وإخفاقٌ
وإحساسٌ مريرٌ ومهينْ
صوتها ضاعَ هباءَ وسُدَى
كلُّنا صُمٌّ.. وما يُجدى مع الصُّمِّ نداءٌ أو
صَدَى

هتفَتْ والليلُ كالبحرِ وهل يُعرفُ

للبحرِ مدى؟!

أيها المليارُ مسلم

قُمْ .. تقدَّمْ

يا صلاحَ الدين .. يا عمرو

ويا سعد .. وأنتم يا شباب القادسيّهْ

أين أنتم؟

أدركونى

إننى مسلمةٌ من سراييفو

بوسنويّهْ

وشتائى شاحبُ الوجهِ.. كسيفٌ وحزينْ!

ذبَحوا زوجى وأطفالى أمامى

سَملوا عينَ أبى

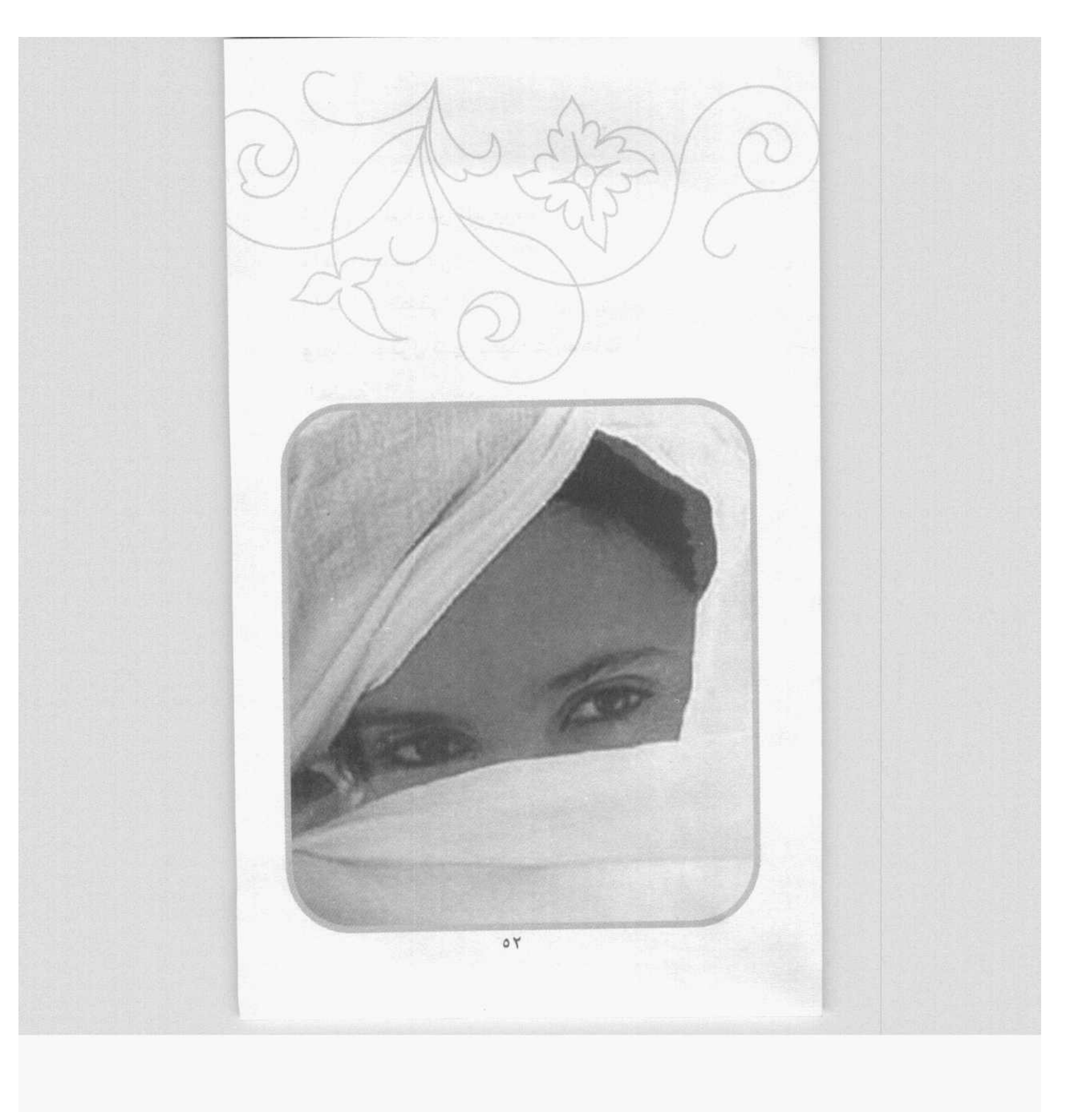
أشعلوا النار بأمى وهى في الدارِ تصلى

علقوا جدى على بابِ المُصلّى

مزّقوا ثوبى بأيدٍ همجيّهْ
وبقلبٍ لا يلينْ
قدّمونى مثلَ قُربانٍ على مائدةِ الصربِ
طعاماً
للوحوشِ الآدميَّهْ
نهشوا لحمى وإحساسى وذاتى
مثلما انقضُّوا على ألفِ فتاةٍ وصبيّهْ
فى مجونْ!
أيها المليارُ مسلم
أين كنتم
حينما رحتُ أنادى ودموعى تتكلم؟
أدرِكونى
خلِّصونى
إنها مذبحةٌ أندلُسيَّهْ
إن بيتى قد تهَّدمْ

إن محرابى تحطَّمْ
إن هذا الطفلَ فى المهد تيتّمْ
إن هذا الوطنَ الغالى تشرذَمْ
إن هذا الحاقدَ الصربىَّ فى أرضى وفى
عرضى وفى مالى . . وفى أهلى تَحكَّم
أيها المليارُ مُسلم
أين كنتم ؟!
حينما أصبحتُ لا أقوى على الدمع وقد
صرتُ
بقايا امرأةٍ مكسورةٍ تحيا شقيَّهْ !
وأنا أدعوكَ سِرّاً بعد أن شل لسانى وأتمتمْ
وأنا كلى يقينْ
إننى مسلمة لا أنتمى منذ وجودى
ليسارِ أو يمينْ
فلماذا أيها المسلم لم تُشهر سيوفَ الثأرِ

فى وجه الجيوش البربريَّهْ؟
ولماذا لم تُجِرنى؟
ولماذا لم تصُنّى؟
ولماذا لم تزْل تلهو بعيدا عن ملفّات
القضيَّهْ؟!



صبراً جميلاً سراييڤو

عيني عليكِ وكل الأرضِ تَنتظرُ
مُنذُ الضُّحَى وإلى أن أقبلَ السَّحَرُ

وأنتِ صامدةٌ لم تَيأَسى أبداً
مهما تخلّى ومهما أعرضَ البَشَرُ

عارٌ علينا بأن تغفو لنا مُقَلٌ
والليلُ دهرٌ طويلٌ ليس ينحسِرُ

والمسلمونَ على أعتابهم ذُبِحوا
ونحن لمّا نزلْ نأسى ونعتذِرُ

كأنَّ لم يأتِنا من عندهم خبرٌ
فلم يَعُدْ عندنا سمعٌ ولا بَصَرُ!

وقد نَمُدُّ أيادينا بلا حرَجٍ

إذا تهدَّمَ بيتٌ للأُلى كَفَروا

نَحنُو عليهم بإشفاقٍ ومرحَمَةٍ

حتى يزولَ بعيداً عنهمُ الخَطَرُ

عينى عليكِ سرايِيفو وقد ذبُلتْ

فيكِ الورودُ وغاضَ الماءُ والشَّجَرُ

ودمْدَمَتْ طائراتٌ فوقَ مئذنةٍ

وأصبحَ الموتُ بينِ الناسِ ينتشِرُ

واستوطَنتْ فى رُباكِ النارُ عاصِفةً

هوجاءَ حَمْقَى فلا تُبقِى ولا تَذَرُ

دمعُ اليتامى وأناتُ الألى صُلِبوا
دمُ الشيوخِ وصوتُ الطفلِ يُحتضَرُ

والمُحْصَنَاتُ وذئبٌ جائعٌ نَهِمٌ
وصرخةٌ فى ظلامِ الليلِ تنكَسِرُ

ما حرّكَتْ ساكنا فى قلبِ أُمّتِنا
كأنَّ أمتنا فى قلبها حَجرُ!

حتى إذا لم يَعُدْ بالأرض مُتَّسَعٌ
وضاقَ ذرعًا بهم الريفُ والحَضَرُ

ولم يُقِمْ أودَهمُ والحربُ دائرةٌ
الأقربونَ فلا لَوْمٌ، ولا حَظَرُ

عينى عليكِ سراييفو وقد هربتْ

منكِ العصافيرُ والأحلامُ والقمَرُ

وصار ليلُكِ بالأشباحِ مُتّشِحًا

يعيثُ فيه فسادًا حاقدٌ.. أشِرُ

قد جاء يثأرُ من ماضيه مُنهَزِمًا

والأمسُ يشهدُ والتاريخُ والسّيَرُ

والزاحفونَ إلي البلقانِ فى ثقةٍ

والكافرونَ ولم يُصبحْ لهم أثَرُ

والفاتحونَ وجندُ الله هاتفة

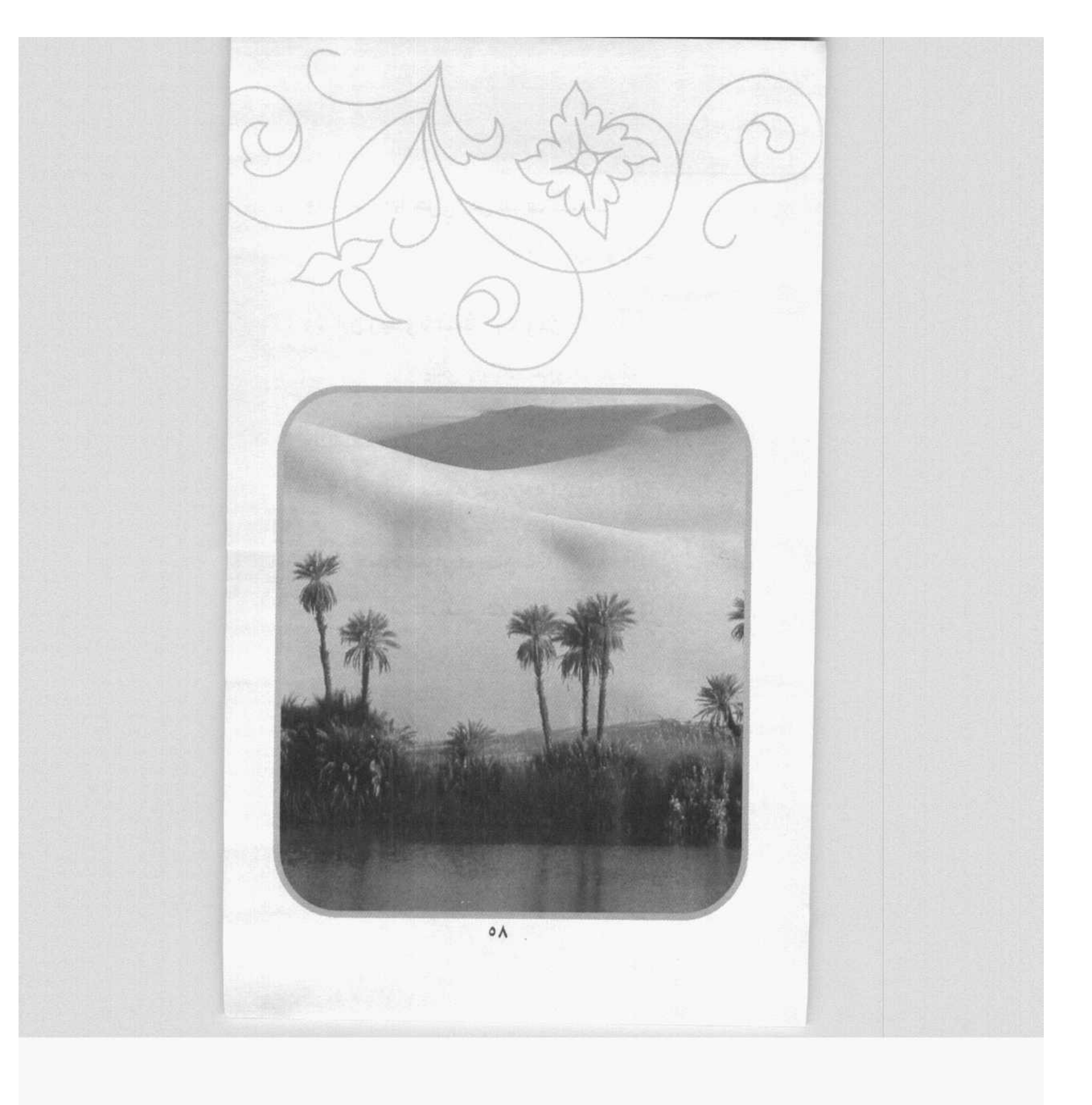
الله أكبرُ والإسلامُ ينتصِرُ

واليومَ ماذا جرى؟ من سوفَ يُدركُنا
ولم يَعُدْ خالدٌ، فينا ولا عُمَرُ؟

ولا ابنُ زيدٍ ولا سَعدٌ، ولا رَجُلٌ
يَندى جبينًا .. غيورٌ، .. ساقَه القَدَرُ

والسيفُ لما يزَلْ فى غمدِه صدِئًا
يُثنيهِ عن عزمِهِ الإدبارُ والحَذَرُ

صبرًا جميلاً سراييفو فإن غدًا
قد ينصُر اللهُ عند العسر من صَبَرَوا



هذه مصر

من كلّ حدْبٍ... وكلّ صَوْبِ
أتوْا إلى هذهِ المَدينه

يستشرفُونَ التُراثَ مَجداً
ودولةَ حُرَّةَ... مكينه

عريقةَ.. عُمرُها دُهورٌ
وكلُّ دهرٍ غَدا قَرينه

كلّ الحضاراتِ مُنذُ مُوسى
أمست وأَضحَتْ لها مَدينه

ونيلُها شاهدٌ عليها
من منكُمو لَمْ يَذُقْ حَنينه

على مَراسيهِ كم نَعِمنا

بالعشقِ والدّفءِ والسَّكينه !

وفى روابيِه كم سَهِرنا

نحكى رواياتنا الحزينه

نبثُّه كلما تعبنا

شُجونَنا . . نَحتوى شُجونَه

ونرتوى من ثَراه خمراً

ونشتهى طميَهُ وطينه

ينسابُ كالتّبرِ بالليالى

وكم تمنّى الدُّجَى رَنينه

وهذهِ الأرضُ كم أظَّلتْ

حُرّاً . . وكم حَرَّرَتْ رَهينه

وأيقظتْ فى المَدى رُبُوعاً
كانتْ إلى الأمسِ مُستكِينه

وسَامَحَتْ كلَّ من أساءُوا
من غيرِ حقدٍ ولا ضَغينه

تُرابُها عَنْبَرٌ ومِسْكٌ
يا حظَّ من عفَّرَتْ جَبينه

هذى رُبى مصرَ من زمانٍ
أمينةٌ فى يدٍ أمينه

شبابُها والشبابُ عَزْمٌ
لا يَقدِرُ الدهرُ أن يُلينه

بالفكرِ والفنِّ والتحدّى
يذودُ عن قلعةٍ حَصِينه

كالليّثِ فى الخَطْبِ لا يُبالى

بالرّوحِ قد يَفتدِى عَرينه

توحَّدَ الرْكبُ مُنذُ عمرِو

وعانَقَ القِبْطُ مُسلمينه

وفى حِمَى أزهرِ شريفِ

وعُروَةٍ لم تَزلْ مَتينه

شَبَّتْ عن الطَّوْقِ أُمنياتٌ

فريدةٌ.. فَذَّةٌ.. ثَمينه

نَجيبُ محفوظُ أو زويلٌ

لمصرِنا حِليةٌ.. وزينه

حدّث أبا الهولِ وارو عنّا

ما يعجزُ الشعرُ أن يُبينه

وقُلْ لَهُم إن فى دمانا

مَشاعرًا رَحْبَة دَفينه

من كربلاءَ لبيتِ لحمٍ

ومن دمشق إلى المدينهْ

ومن مُحيطٍ إلى خليجٍ

نَستهجِنُ الفُرقَةَ اللّعينه

ومِصرُنا اليومَ مثل نوحٍ

إذ تعتلى دَفَّةَ السَّفينه!



بعض أطفال صغار

بعد أعوامٍ ثقيلهْ!
وحكاياتٍ طويله!
مالهم فى شأنها رأىٌ، ولا فى أمرِها أيةُ
حيلَهْ
هبتِ العاصفةُ الهوجاءُ من أوّلِ طفلِ
وإلى آخر أطفال القبيلهْ!
عُزلاً كانوا وفى قبضتهم
بعضُ أحجارٍ قليلهْ
ذكَّرونا بالفدائيينَ فى أرض الجزائرْ
وأناشيدِ البطولهْ
وشبابٍ مثل موج البحرِ .. ثائرْ!
حسبُنا منه جميلهْ!

أيقظونا هؤلاء الصبية الرُحَّلُ لكنْ
بعدَ أن زلّ الشبابْ
وغدت كلُّ أمانينا سرابًا فى سرابْ
وتخطينا بأميالٍ طوالٍ الكهوله
وبدتْ أحلامُنا من بعد أن شِبنا .. هزيلهْ!
ليتنا كنا صغاراً مثلهم
ربما كنا تعلّمنا الرجوله!

***

بعدَ أن ضاقوا .. بأنّا عائدونْ ..
وهتافاتِ الإذاعاتِ التى تَخطُب فينا
وضجيجِ الميكروفونْ!
والرواياتِ الكثيرهْ
والعباراتِ المُثيرهْ
والشعاراتِ الأثيره!
عقدوا العزمَ وباتوا يحلمونْ

وصحوْا فى الفجر والناسُ نيامْ
تركوا الأكوابَ ملأى بحليبِ
ومضوْا دونَ شرابٍ وطعامْ
واستداروا للأمامْ
كل مجموعة أطفالٍ عليهم قائدٌ ، فذٌ ، هُمامْ
حلَفوا ألفَ يمينْ
دون لغوٍ أو كلامْ
أن يصدّوا الموتَ عن كلِّ الخيامْ
ويرُدّوا كبرياء الأمس
أمجادَ السنينْ
أقسموا أن يمسحوا العار الذى فوقَ
الجبينْ
وضعوا أرواحهم فوق يديهم
واستعدوا للخطرْ
معجزات إيه لم تخطرْ على قلب بَشرْ

لمسةٌ، واحدةٌ، قد أنطقتْ هذا الحجرْ!
فتحولْ
صرخةَ جَوعى.. وإعصاراً يزلزلْ
وتحوّلْ
خنجرًا يُدمى وسكّينا تغلغلْ!
وانتصرْ
بعضُ أطفالِ صغارِ وحجرْ
وتحدوْا الحضارات التى صالت وجالتْ
والتى دَّوى صداها وانتشَرْ!
والتى سارتْ على سَطحِ القَمرْ!

***

بعضُ أطفال صغارْ
حوّلوا التاريخَ من مليون ليلِ حالِكِ!
لتباشيرِ نهارْ
وأثاروا الذعرَ فى قلب المدينهْ

أيقظوا الربّانَ كى يُنقِذَ أصحابَ السفينهْ!
دونَ تهديد .. وشجبٍ .. ووعيدٍ ..
وانتظارْ
لقرارْ
صادرٍ من أجل تحرير مصير وحوارْ!
بين أقوامٍ كثارْ
من صغارٍ .. وكبارْ
زفروا الأنفاسَ حرّى وحزينه
بعدَ أن ماتتْ على الأرضِ السكينه
وعلى الأشجار حباتُ الثّمارْ
سكبوا البنزينَ فوق الأرضِ
كى ما يطفئوا بركان نارْ!!

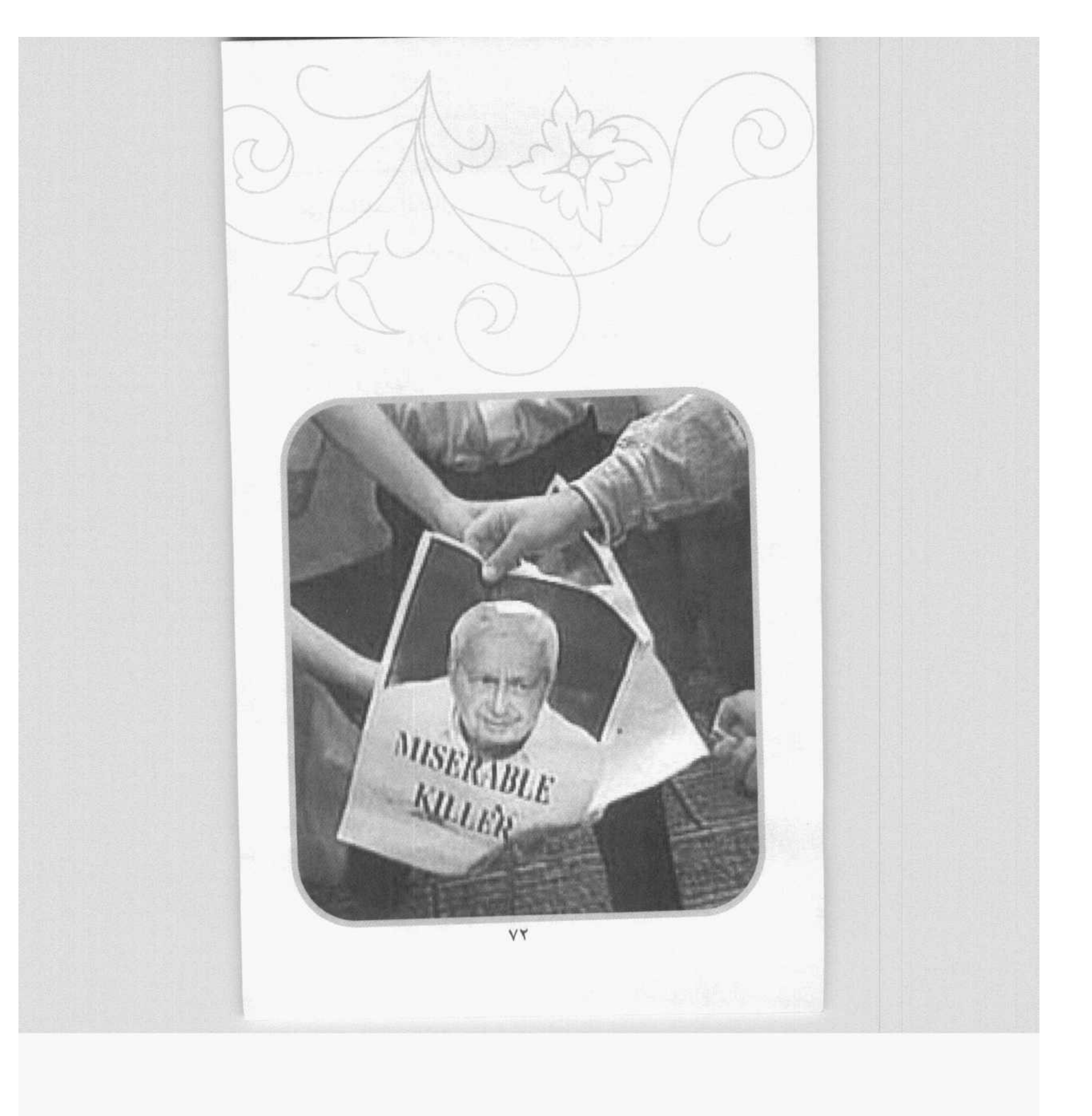
***

بعدَ أن ضاقوا بأحلام الرجالْ
التى تطغىَ على صوتِ النضَالْ

مزّقوا دونَ هواده
كل أفكارِ معاده
من قصيدِ لمقالْ!
لم يعد للشعر سلطانٌ على أحلامهم
سئِموا كلّ خيالْ
ومضَواْ نحوَ طريقٍ واحد
كي يريقوا ماءَ وجه الاحتلالْ
وأساطينِ القياده
كي يذودوا عن كلامِ اللّهِ في دورِ العباده
وحقولِ البرتقالْ
لقّنوا العالَم درساً هائلاً

في أساليبِ القتالْ
سجَّلوا أسماءَهم فى دفتر التاريخ فرسانا
وقاده!
مصطفى .. عمرو .. وريهام .. وغاده..
وحسام ونهال
جمعوا كل النياشين لديهم
دون درع .. أو وسام..
أو قلاده
أثبتوا ألاَّ محالْ..
أثبتوا ألاَّ محالْ!!
بعضُ أطفال صغارْ!

***


MISERABLE
KILLER

الشيخ ياسين (*)

وغدٌ طاغٍ باغٍ مجنونْ!
يُدعَى شارونْ!
يأمرُ شرذِمَةً من فُجّارٍ ومن أشرارِ
بنى صهيونْ
أن تذبَحَ بعدَ صلاةِ الفجرِ الشَيخَ الطاعِنَ
فى السِّنْ
الآمِنَ إلاّ من مكرِ الشيطانِ
ومن طعناتِ الجِنّ!
الأعزَلَ إلاّ من مَسبَحَةٍ فى كفّيْهْ
وحروفٍ من كلماتِ المصحفِ فى شفتيْهْ
وصدى أدعيةٍ تتردَّدُ ما بينَ الحينِ

(*) زعيم حركة حماس الذى استشهد فى فبراير ٢٠٠٤ ، وقد كان الأب الروحى لكل الحركات التحررية بفلسطين.

وبينَ الحينْ!
وغدٌ طاغٍ باغٍ مجنونْ!
يُدعى شارونْ
يلعَبُ بالنارِ ويحرِقُ كلَّ الشَّجَرِ الأخضَرِ
بفلسطينْ
من زهرِ النارنجِ إلى التينْ
ومن الليمونِ إلى حبّاتِ الزيتونْ
لا يذكُرُ فى هذى الدنيا أسماءَ
إلا نيرونْ!
لا يعرفُ رجلاً فى التاريخِ سوى شمشونْ!
يتحدّى كلَّ الكونِ بلا خَجَلٍ وبلا وَجَلٍ
وبغيرِ عقائِدَ أو دينْ!
يزرعُ كلَّ العالمِ غضَبا
يبذُرُ كلَّ الشرقِ الأوسطِ صَخَبا
يسكُبُ فوقَ النارِ الزيت

وفوق الكيروسين اللّهَبَا
يَـغـمُرُ كلَّ سماواتِ المعمورةِ سُحُبا
يذبحُ بعدَ صلاةِ الفجرِ الجَسَدَ الناحِلَ
رمزَ العزّةِ
من كان لنا أُمًّاوأبا!
الشيخ ياسين
الشيخ ياسين
يسقُطُ فوقَ الأرضِ الشيخُ
فيبكي كلُّ تُرابِ الأرضِ وتدمَعُ كلُّ عيون
الطين!
من مكّةَ حتى حطّينْ
ماتَ الفارسُ وهو يذود عن الإسلام
وبيت المقدس
والتاريخ
من الأقصى

لصلاحِ الدينْ!!

***

الشيخُ الجالِسُ فوقَ الكُرسىِّ المدفوعِ على
عجلاتِ للمسجدْ
لم يتردَّدْ
فى أن يتوضَّأَ ويُصلّى
فى أن يَسجُدْ
يتضرَّعَ للّهِ ويقرأَ وِرْداً ويُتمتِم
ويُردِّدْ
بعضَ الأذكارْ!
رغم الجندىِّ المُتأهِّبِ والراصِدِ كلَّ خُطَى
وظلالِ تدنو
من عتباتِ الدارْ
رغمَ الألغامِ على الطّرُقاتِ.. ورغم
فلولِ القنّاصينَ

ورغمَ الموتِ الرابِضِ حولَ البيتِ
الآمِنِ . . ، ليلَ نهارْ!
فالشّيخُ تعوَّدَ أن يتصدّى للغاراتِ
وأن يمشى
فوقَ البارودِ . . وتحتَ دوىِّ الرشاشاتِ
وأن يَصمُدْ
أن يصرُخَ فى وجهِ الإعصارِ وأن
يتحدّى قافلَةَ الأمواجِ
وأن يسبَحَ ضدَّ التيَّارْ
أن يتمرَّدْ
ما إن ختَمَ القرآنَ وصلّى وتهجَّدْ
وبدا فى سمتِ الأبرارْ!
حتى باغَتهُ الموتُ الأحمقُ من ميليشياتِ
تركُضُ
كالثورِ الهائجِ . . تتربَّصُ بالشيخ العائدِ

من بيت الرحمنِ . . تَشُدُّ عباءتَهُ
تنقضٌّ عليهِ كما ينقضٌّ الإعصارْ!
بالآباتشى وجنودِ العارْ!
فاضتْ روحُ الشيخِ الثائرةُ
المتطلّعةُ إلى الملأ الأعلى!
تدعونا فى آخِرِ مَشْهَدْ
أن نتوحّدْ!
ألاّ نستسلمَ أو نَقعُدْ
إمّا أن نحيا معتزّينَ بدينِ اللّهِ
وأمَّتِنا
من غير قيودٍ أو أغلالٍ
أو أسوارْ!
أو نُستشهَدْ!

***

يا كلَّ الشرقِ وكلَّ الغربِ

وكلَّ حضاراتِ الدُنيا
فى كلِّ مكانْ
يا من تدعون إلى الحريّةِ والتشريعِ العادِلِ
من أجلِ حقوقِ الإنسانْ!
من يَشجُبُ هذا العدوانْ ؟!
من يستنكِرْ؟!
طاغوتَ العصرِ ويرفُضُ هذا القهرَ
وذاكَ الطُغيانْ ؟!
من يَغسِلُ كفّيهِ من العارِ ومن يرجُمُ
هذا الشيطانْ ؟!
من يستصدِرْ؟!
أمراً بإدانةِ إسرائيلَ وأمريكا
من يجرؤ أن يتصدّى للفيتو
«تونى».. الذَّنَبُ الأمريكىُ التابعُ للبيتِ
الأبيضِ

أم كوفى أنان؟!
أم هذا الدبُّ الروسىُّ المطعونُ المذعورُ
الجالسُ فوقَ العرشِ الزائلِ
للقيصَرْ؟!!
أم هذى الأُمَّةُ صاحِبةُ التاريخِ الضاربِ
فى أعماقِ الأرضِ.. الحاضِنةُ الأولى
لجميع حضاراتِ الدنيا
مهدُ الأديانْ؟!
من يُطفئُ هذا الغضبَ الكامِنَ فى الأعماقِ
ومن يقدِرْ؟
أن يُخمدَ هذا البركانْ؟!
من يُشهِرُ سيفَ الحق بوجه عصاباتِ
(الاشتيرن).. ووجهِ زعيم (الهاجاناه)
ووجهِ الإرهابِ الأخطَرْ!

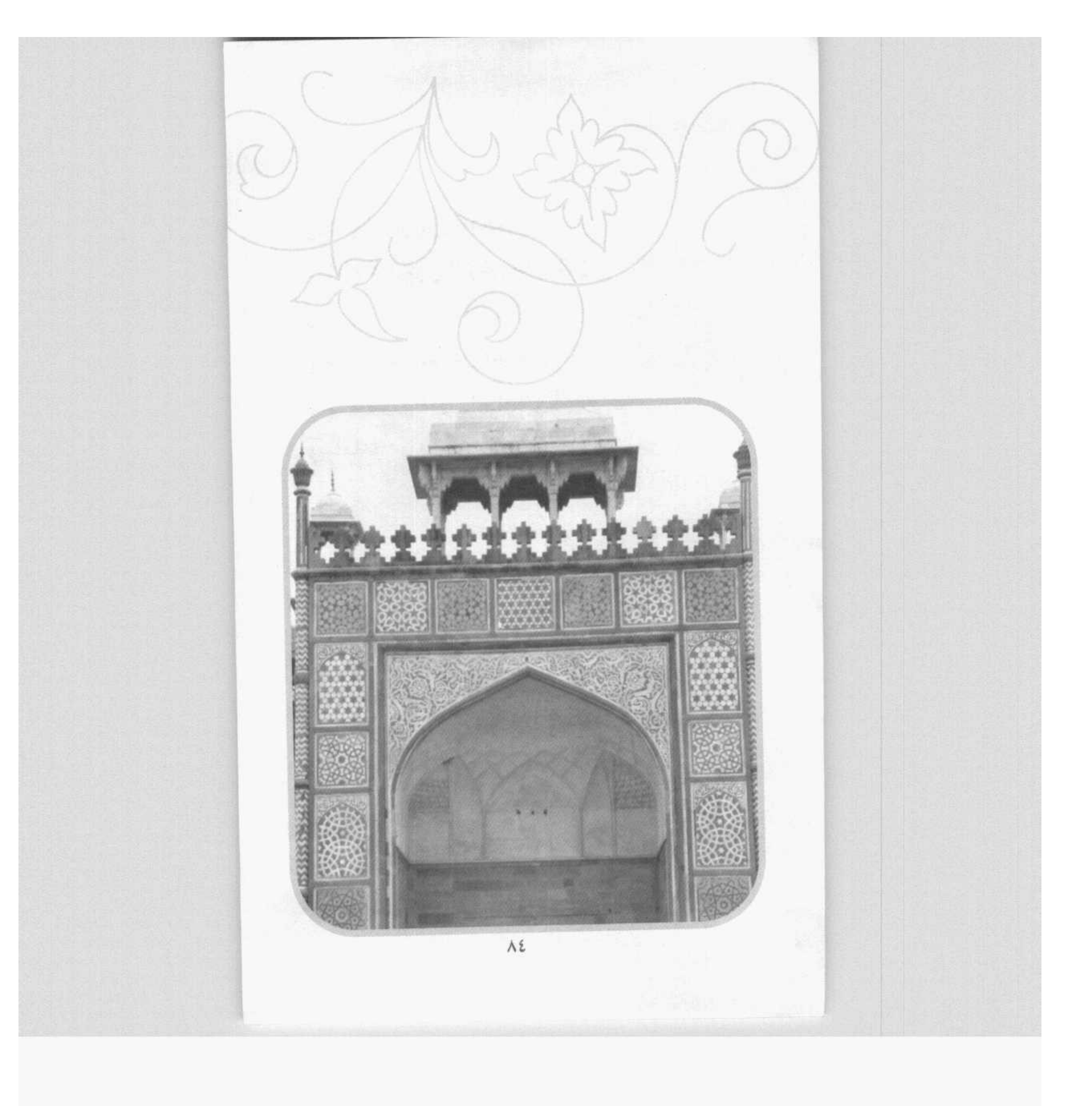
***

شارون الوغدُ المجنونُ الأحمقْ
لم يترفّقْ
بالشيخ الجالسِ فوقَ الكرسِّى المدفوع على
عجلاتٍ للمسجِدْ!
كى يتهجَّدْ!
ياكُلَّ العالمِ من يسمعْ؟!
صرخاتِ الأطفالِ الرُّضّعْ
وأنينَ الثكلى يعلو فوقَ أزيزِ الفانتوم
والآباتشى ودوىِّ المدفَعْ
وتهدُّجَ صوتِ رفاقِ الشيخِ السُجَّدِ والرُكَّعْ!
وحجارةُ أطفالِ فلسطين غداً
تزأرْ!
وغداً تتحوّلُ كلُّ عباءاتِ الشُهداءِ
إلى أكفانْ
لبنى صهيونْ

للوغدِ الأحمقِ شارونْ
ولكلِّ دُعاةِ الباطلِ من بيتِ المقدِسِ
للنجف الأشرفِ
للجولانْ!
لعدوِّ اللّه الجاثم فوقَ صدورِ البدو الرُحَّلِ
فى أفغانستانْ!
وغداً كلّ الضعفاء المقهورينَ المغلوبينَ
المكلومينَ
تثورُ على جون بولَ وسامَ . . ونجمةِ داوودَ
وتثأرْ
للشيخِ ياسينَ
وللدُرَّه !
للمُدُنِ الأسْرَى
للأطفالِ الأبطالِ الحُرّه !
لنخيلِ البصرةِ

ولأشجار الزيتونِ بيافا
ولكلِّ شهيدٍ فوقَ الأرضِ بكلِّ مكانٍ
وزمانْ!
وغداً يقتصُّ اللّهُ من الباغينَ
ومن فرعونِ القرنِ الواحدِ والعشرينَ
وهامانْ!

***



نداء إلى الفاروق

نَمْ يا عُمَرْ

نَمْ يا أميرَ المؤمنينْ

واملأْ جفونَكَ دونَ خوفٍ أو حَذَرْ

فيمَ الحَذَرْ؟!

والعدلُ حارِسُكَ الأمينْ

وسلاحُكَ الإيمانُ

سيفٌ لا يَحيدُ ولا يَلينْ

ورماحُك التقوى.. فأنّى تنكَسِرْ؟!

والحقُّ ساعِدُكَ اليَمينْ

إن مالتِ الدنيا وأخفَقَ ربّما كلُّ البَشَرْ

أنتَ الصِراطُ المستقيمُ العادلُ.. الحقُّ..

اليقينْ

يا أيُّها الفاروقُ أينَ الآنَ أنتَ

الريحُ عاتيةٌ

وموجُ البحرِ جبَّارٌ

وأمَّتُكَ الضعيفةُ فى خطَرْ!

من غيرِ رُبَّانٍ.. ودونَ شواطئٍ

وبلا سفينْ

أدركْ شظاياها.. وأيقظها من الظُلماتِ

والليلِ الحزينْ!

وأعِدْ لها التاريخَ.. والمجدَ القديمَ

وكبرياءَ الأولينْ

يا أيُّها الفاروقُ عُدْ

عامُ الرَّمَادةِ لم يزلْ يمتدُّ من عامٍ إلى عامٍ

ومن حين لحينْ!

جَفَّتْ ينابيعُ الحياةِ وأقفرتْ كلُّ البوادى

والحَضَرْ

عُدْ يا عُمَرْ

فالأرضُ ظمأىَ للسنابلِ والمَطَرْ

والنيلُ جَرَّدَهُ اللصوصُ فلم يَعُدْ

صدراً حنوناً تستريحُ الشمسُ فى شطّيهِ

أو ينسابُ فى دمِهِ القَمَرْ!

****

هَجَرَتْهُ أسرابُ الطيورِ ومزَّقَتْ أستارَهُ

المُدُنُ القبيحَةُ

فاستشاطَ وضاقَ ذرعاً

وانْتحَرْ!

****

قُمْ يا عُمَرْ

واضربْ بكفٍّ من حديدْ

أيقِظْ جنودَكَ كي تقوِّضَ كلَّ جبارٍ عنيدْ

أينَ ابنُ زيدٍ.. أينَ عمْرو.. أينَ سَعْدْ

أينَ.. سيفُ ابنِ الوليد؟!

القدسُ تصرخُ كلَّ يومٍ

المآذِنُ.. والكنائِسُ.. والمنازِلُ..

والحجارةُ.. والشَّجَرْ

وعويلُ أشباهِ الأرامل.. والثَّكالى..

واليتامى

والعذارَى.. ينكسِرْ

فوق السكون

وفوقَ أسوارِ الحدودْ
والأرضُ ظمأَى لم تزَلْ
لدَمِ الشهيدةِ . . والشهيدْ!
والفارسُ المغوارُ طفلٌ شاهراً فى وجهِ آلافِ
اليهودْ
سَيْفاً ودِرعاً من حَجَرْ!
والمسجِدُ الأقْصَى يُنادى . . يستغيثُ . .
ويستجيرُ
وكلُّ قلبٍ بالمصَلَّى يَنْفَطِرْ!
قُمْ يَا عُمَرْ
وابعثْ فوارسَكَ النجيبةَ فى الفُراتِ
وفُكَّ أسرَ الساجدينَ . . الراكعينَ بكربلاءَ
من السبايا . . والعبيدْ

عُدْ من جديدْ

لا تنتظرْ

فالكلُّ مشغولٌ بتقسيمِ الغنائمِ سائلاً

هل من مَزيدْ؟!

وملوكنا باعوا القضيّةَ لم يَعُدْ فيهِمْ أبوبكرٍ

ولم تنجبْ قبائلُهم عليّاً أو عُمَرْ!

دأبوا على التّرَفِ المزيَّفِ والرّياشِ وشوّهوا

التاريخَ

والزّمَنَ الجميلَ

نَسُوا ولمْ يُصبح لديهم أيُّ ذاكرةٍ

ولم يتبقَّ من أمجادِهم بئرٌ معطلةٌ..

ولا قصرٌ مَشيدْ!

باعوا كنوزَ الأمسِ بالذّهبِ الرخيصِ

النفطِ
والدولارِ.. والسلطانِ.. لم يتعلَّموا
فعروشُهم أعجازُ نخلٍ خاويه
وصروحُهم من عنكبوتٍ واهيه
وبروجُهم كبروجِ عادٍ أو ثمودْ
ما عادَ فوقَ عُروشِهِمْ قُطُزٌ
لكيَ يجتثَّ أعناقَ التَّترْ
لم يبقَ فيهمْ من صلاحِ الدينِ أيُّ علامةٍ
أو أيُّ سَمْتٍ
أو أَثَرْ!
صاروا جميعاً ألفَ فرعونَ وهامانَ.. وقارونَ
فما فيهم حكيمٌ أو رشيدْ!
قُمْ يا عُمَرْ

قُمْ يا أميرَ المؤمنينْ
علِّمْ جميعَ الجالسينَ على عروشِ المسلمينْ
سُنَنَ الأوائِلِ فى العدالةِ
بينَ كلِّ الناسِ
كلّ الناسِ من ماءٍ وطينْ !
لا فرقَ بينَ ابن السَبيلِ لديكَ
وابن الأكرمينْ!
عُدْ يا عُمَرْ
وأعِدْ صياغَتنا
وأيقظنا من الإفراطِ فى النومِ العميقْ
إنا سكارى لم نزلْ
نستمرئُ الموتَ البطىءَ ولا نُفِيقْ!
حرِّرْ مصائِرَنا .. ضمائِرَنا

فمازلنا نُبَاعُ ونُشْترَى
عادت إلينا الجاهليَّةُ
أصبحتْ أوطانُنا سوقاً لكل تجارةٍ
مِنْ أَوَّلِ الكلماتِ فوقَ شِفاهِ كلِّ الكاذبينَ من
الولاةِ
إلى طوابيرِ العُراةِ على الفضائياتِ
للجنسِ المعَلَّبِ
للرقيقْ!
عُدْ يا عُمَرْ
أنتَ السبيلُ وقد طرقنا دون جدوى
كلَّ أبوابِ السُّبُلْ
قُمْ علِّم الأمراءَ.. والنبلاءَ والسفهاءَ..
والجُهلاءَ

كيف تُساسُ أقدارُ الشعوبِ
وترتقى بالعدلِ هاماتُ الدُّوَلْ !
من غير تفريطٍ . . ودونَ مساوماتٍ . . أو
تراخٍ
أو وَجَلْ
قُمْ أيُّها الفاروقُ اشعلنا
وأَخْمِدْ حولنا هذا الحريقْ!
عُدْ إننا ظمأى إلى نسماتِ عدلِكَ
نشتهى ذاك الرحيقْ!
نسعى إلى ثُقْبٍ بنافذةٍ
يُطِلُّ على شُعَاعٍ
واعدٍ
أو يستريحُ على ذراعٍ

من بريقْ !

قُمْ يا عُمَرْ

لا تنتظِرْ

حلَّ الظلامُ وعَمَّ كلَّ مدائنِ الدنيا

وما زلنا بلا قَدَمٍ

ودونَ سواعِدٍ

وبلا طريقْ!

أدرِكْ خُطانا قبلَ أن ننساقَ خلفَ الزيفِ

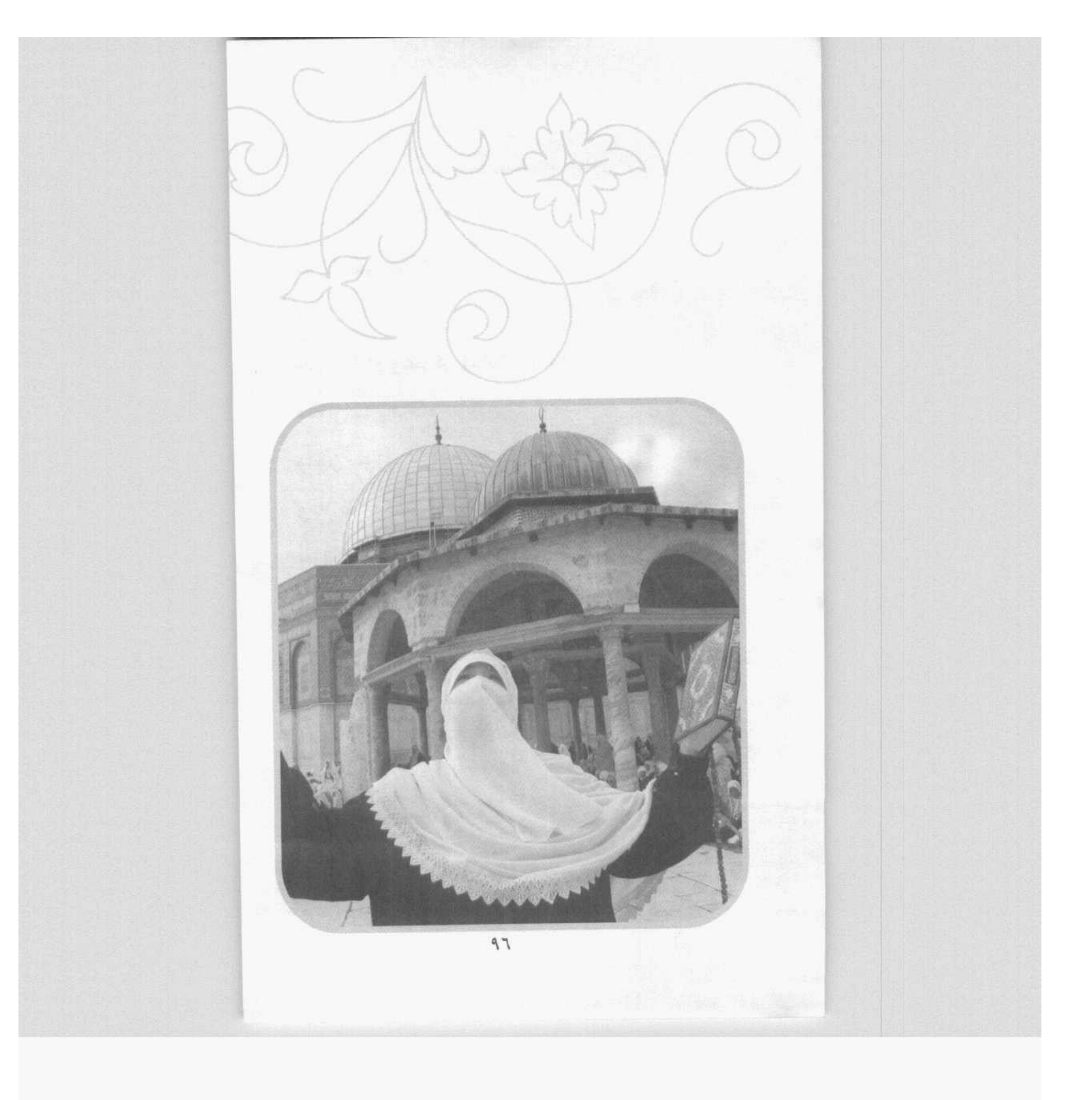
يأكُلُنا عدوٌ يرتدى

ثوبَ الصديقْ

أَنْقِذْ بقايانا فقدْ ينجو بآخِرِ لحظةٍ

ركبٌ غريقْ!

***



النيران والحطب

أينَ الحضاراتُ والتاريخُ والنَسَبُ
والذكرياتُ التى تزهو بها الحِقَبُ؟!

من قبلِ موسى وعَيسى والخليلُ أبٌ
والمصطفى نورُهُ من بعدُ ينسَكِبُ

وهل نَسيتم متى كانت تَحيقُ بنا
مُلِمَّةٌ كيفَ كان الشّامُ يَضطَرِبُ؟

وكيفَ كنا وكلّ الأرضِ مظلِمَةٌ
منارةً يعتليها سادةٌ نُجُبُ؟!

تَهُبُّ مصرُ وأنتم فى عباءتها
إن حوَّمَتْ حولنا أو طافتِ النُوَبُ

وإن شكا رافدٌ فى الشرقِ أو دَمَعَتْ

عينانِ.. لمَّا تزلْ وهرانُ تنتحِبُ!

*****

وإن بدا عارِضٌ صوبَ المحيطِ غَدَتْ

أرضُ الكنانَةِ كالبركان تَلتهِبُ

وإن دعانا إلى أن نلتقى سَبَبٌ

هَبَّ الجميعُ وإن لم يُعرَفِ السَّبَبُ!

كانت فلسطينُ كالمِحرابِ قِبلَتنا

والقدسُ نأوِى إليها حينَ نغترِبُ

نشتمُّ عطرَ رسولِ اللهِ كلَّ ضُحَى

كأنَّ ركبَ رسولِ اللهِ يقتربُ

كأنمّا الأمسُ حيٌّ ماثِلُ فهُنا
هَمَّ البُراقُ بهِ في لحظة يَثِبُ

إلى السَّمَا فبدا مِعراجُ سيّدِنا
محمّدٍ وقد ازدانت بهِ السُّحُبُ

هُنا تمخَّضَتِ العذراءُ في جَلَدٍ
أمُّ المسيحِ التي للقدسِ تَنتسِبُ

في بيتِ لحمٍ وقد هلَّت بشائِرُه
فاستسلَمَ الزورُ والبُهتانُ والكَذِبُ

صارت فلسطينُ شيخاً طاعِناً وفتى
من أجلِ عزّتِنا أرواحَهم وَهَبوا !

وهذِهِ الشمسُ لم تُطفَأْ بعاصمةٍ

وما توارت.. كما لم يصدأِ الذَّهَبُ

بغدادُ كانت لنا داراً وحاضِرةً

ومِنبراً تتبارى فوقَهُ الخُطَبُ

فى ليلِها هدأةٌ للساهرينَ عَسَى

يَرِقُّ قلبٌ ويُنسى بالهوى التَّعَبُ!

صَبيَّةٌ كابنةِ العشرينَ حالِمةٌ

تُرابُها زعفرانُ، طينُها رُطَبُ

وكربلاءُ بآلِ البيتِ عامِرَةٌ

وكلُّ باكٍ على الأيامِ تجتذِبُ

هذى ديارُ بنىِ العباس قد شَهِدت
مسارِحَ المُلك كيفَ الآنَ تُغتصَبُ؟!

وتُستباحُ رُباها وهى ذاهِلَةٌ
كأنما لم يكُنْ جَدٌّ لنا وأبُ!

كأنّما الحىُّ مهجورٌ لوحشَتِهِ
لم يُزْهِرِ الشِعرُ فى واديهِ والطَّرَبُ

فكيفَ يوماً يُهان المجد فى وَطَنٍ
وكيفَ يوماً يُباعُ الجاهُ والحَسَبُ؟!

قد أوشَكَ الفجرُ أن يأسَى لفُرقَتِنا
وكادتِ الشمسُ تبكى وهى تحتجبُ!

أسلافُنا ما توانوْا فى مسيرتِهم
فلم تَغِبْ عنهُمُ الأقمارُ والشُهُبُ

كانت لهم صولَةٌ فى كلّ مُنعطَفِ
وبصمةٌ.. وأيادِ أينما ذهبوا

من قادسيةِ سعدِ بالعراقِ إلى
أسودِ طارقَ والأمواجَ قد ركِبوا

فى كلّ وادِ لهم صوتٌ وألفُ صدَى
وكل حادثةِ يزهو بهم لقَبُ!

الخالدونَ إذا ماتوا فدا وَطَنِ
والفاتحون رعاةُ المجدِ إن غلَبوا

كانت لنا هيبةٌ كم بات يحسُدُنا
من كان يسمَعُ يوماً أننا عَرَبُ

كم من ممالكَ زالت وهى شامخَةٌ

وكم فلولِ تَداعَتْ وهى تنسَحِبُ!

وكم توهَّجَتِ الدنيا بطلعتِنا

وسَجلَتْ عزَّنا الأسفارُ والكُتُبُ!

وكم تغنّت بنا الآفاقُ فى ثِقَةَ

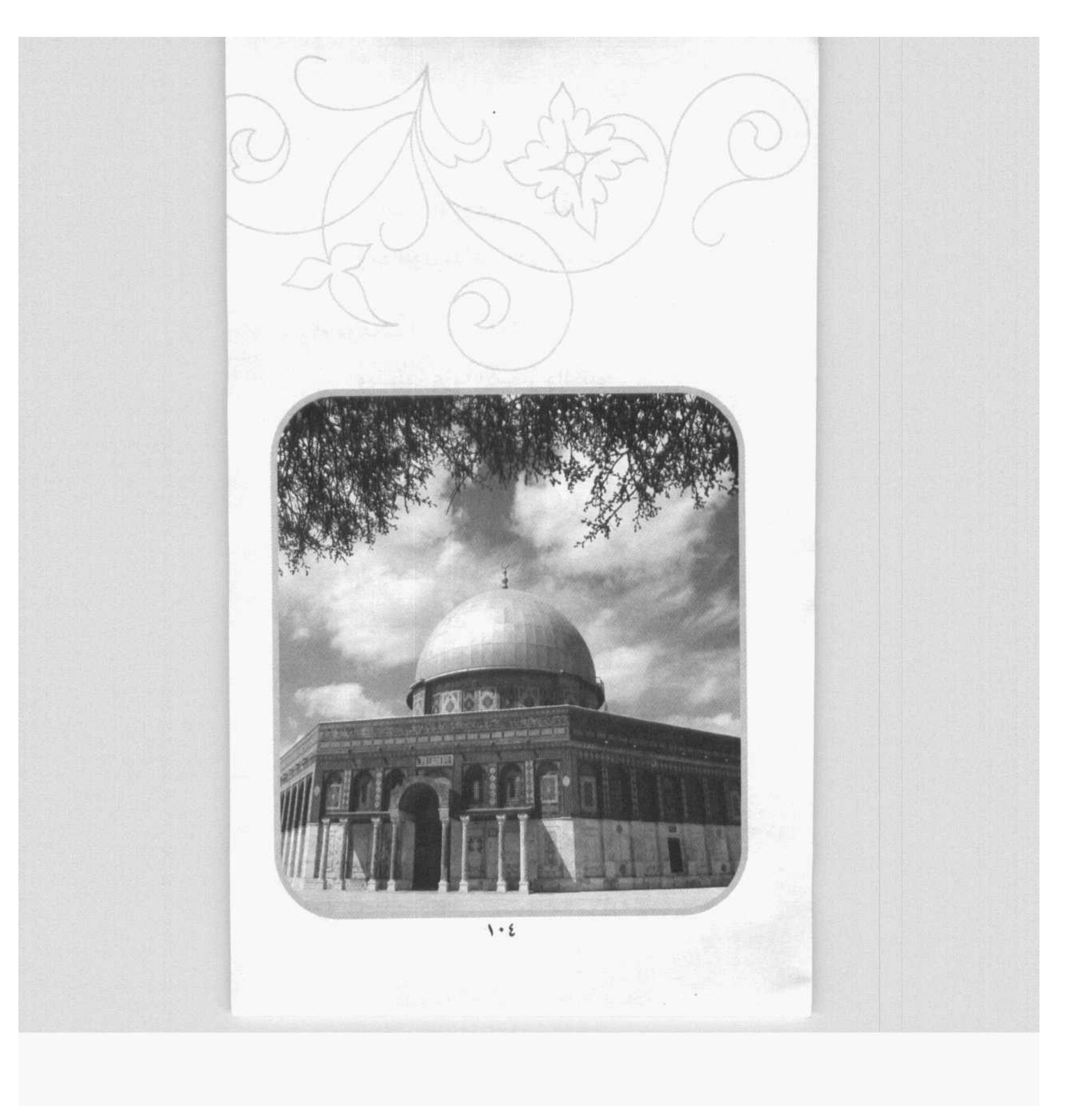
وصَفَقَ الشّعرُ للأمجادِ والأَدبُ!

عودوا إلى عصمةِ التاريخِ إن غداً

لن يشفعَ اللومُ والتنديدُ والغَضبُ !

قد يسبِقُ السيفُ لومَ اللائمينَ غداً

من بعد أن تلتقى النيرانُ والحَطَبُ!



مرثية عربيه *

لم نكنْ نعلمُ أنّ الفجرَ قد يولدُ مطبوعاً
بهالاتِ السّوادْ
وبألوانِ الحدادْ
وبأنّ القدسَ لم تصبح هى الآن القضيَّهْ
وبأنّا
قد هدمنا المسجدَ الأقصى بأيدٍ عربيَّهْ
وبأنَّ الحقدَ فى أعماقنا كالنارِ فى هدأتها تحتَ
الرّمَادْ!
وبأنّا لم نزلْ فى قرننا العشرينَ نحيا
بتقاليد القرونِ الجاهليَّهْ
دون سمتٍ أو هويَّه
نعبدُ الأصنامَ والأوثانَ
أربابَ العقولِ الحجريَّهْ
ونصلّى خلفَ تمثالٍ من الشمعِ بليدٍ

(*) أغسطس ١٩٩٢ بعد غزو صدام للكويت وقد ألقيت باتحاد الكتاب.

من جمادْ!
ننحنى بينَ يديْه
نبذلُ الأرواحَ قرباناً إليْه
نطلُبُ الغفرانَ والصفحَ ونشدو
فى مديحٍ كاذبٍ
«بانت سُعادْ»!
لم نكن نعلمُ إلاّ أن إخواناً لنا فى الضادِ والتاريخِ والإسلامِ
قد شاءتْ بأن تجتثَّ آثارَ الجذورِ الفارسيّهْ!
فمشينا خلفهم
ندعو سويّاً للجهادْ!
يا آلهى
كيفَ ضُلِّلنا.. وصَدَّقنا
بأنّ الحربَ كانت قُدُسيَّهْ
كيفَ شبَّهنا ثراها
برحيقِ القادسيَّةْ

كيف هانَ الشعرُ وانثالتْ على الأوراقِ أمواجُ

المدادْ؟!

بينَ صبحٍ وعشيّهْ

لم نكنْ نعلمُ يوماً أنَّ حَجّاجَ إلى بغدادَ عادْ!

لم نكنْ نعلمُ يوماً أن حَجّاجَ إلى بغدادَ عادْ!

***

أيُها الفاتحُ قد مَرَّغتنا فى الوحلِ

وَجهاً وجَبينا

لم يكُنْ فتحكَ يوماً ما مُبينا

من مُحيطٍ لخليجٍ - كلّنا ليلَتها - باتَ كسيفاً

وحزينا!

ها هو اللؤلؤ والنفط - براميلاً -

على شطِّ العربْ

والدنانير الذّهَبْ

ما الذى يكفيكَ حتّى تتركَ النسوةَ

والطفلَ الرهينا؟!

ما الذى يُرضيكَ حتىّ ينتهى هذا الغَضَبْ؟!

بعد أن سافرَ فينا
ولَقينا
ما لقينا!!!

***

إنّنا فى مصرَ حاربنا كثيراً
وتقشَّفنا كثيراً
ومضغنا الصبرَ أياماً طوالاً
وسنينا!
وفقدنا
الشّبابَ الغضَّ والأحلامَ
والعمرَ الثّمينا!
إنّما لم نَشْكُ يوماً من نضوبٍ
أو تَعَبْ!
لا ولم نفقدْ صواباً
أو يقينا!
إنّنا لم نُطلقِ النارَ على الجارِ
ولم ننصُبْ شراكاً

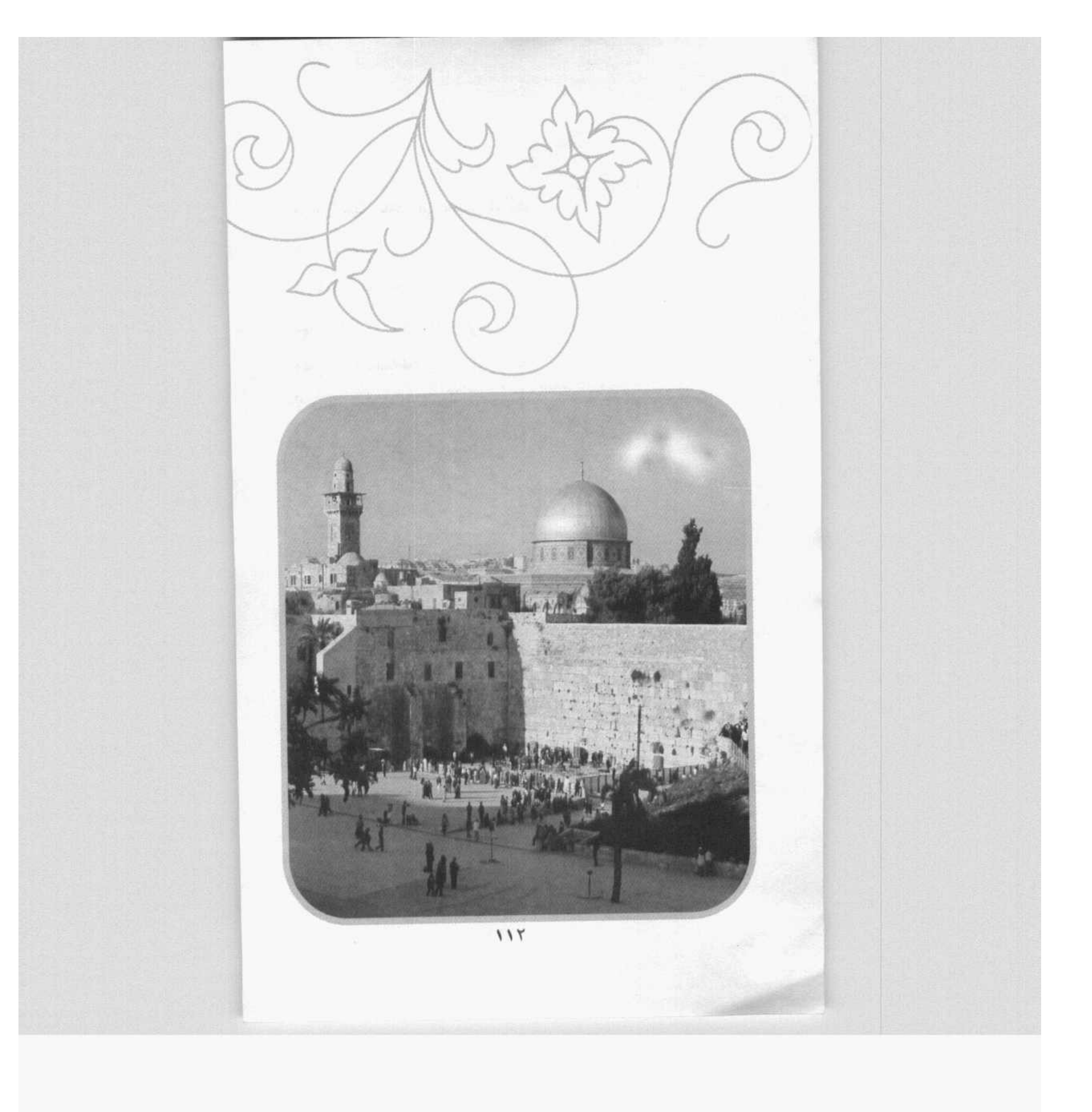
أو كمينا!
إنّنا فى حزنِنا العاتىَ كُنّا نتسامى
فوقَ هاماتِ السُّحُبْ
إننا فى مصرَ كُنّا ندفعُ الديّةَ
عن كلِّ العَرَبْ
فتحمّلنا الفواتيرَ وحُمّلنا الديونا
إنّما لم نتسوّلْ أىَّ دينارٍ ودولارٍ
ولم نجرؤ على أن نتمادى
أو نُغالى فى الطَّلَبْ
وأكلنا الخبزَ والملحَ.. وجاهدنا
وثُرنا
وانتصرنا
وعبرنا
ونسينا
الذى أشعلَ نيراناً بأعوادِ الحَطَبْ
والذى استعدى علينا
كلَّ صوتٍ عربىٍّ

بالإذاعاتِ وفى صدرِ الخُطَبْ!
إنها مصر التى لم تعرفوها
فاقرءوا التاريخَ
عودوا للكُتُبْ!
فلماذا أنتَ لم ترعَ حقوقاً
ومواثيقَ ودينا؟!
ولماذا أنتَ لم تُبقِ على الأرحامِ والقُربى
وتاريخِ النَسَبْ؟!

***

لا تَسَلْنى أيُها التاريخُ عن صوتِ الضمائرْ
ما الذى يبقى لدينا كى نباهى
أو نُفاخِرْ؟!
بعدما قد علّموا الأطفال أن الجارَ لابدَّ وأن يقتلَ
جارَه
أخبروهم أنّنا لا لم نكنْ من نسلِ نوحِ
علّموهم أن قابيلَ وهابيلَ مثالٌ
للتآخى والتآزُرْ!

وبأنَّ القتلَ عمداً في سبيلِ النفطِ
حلٌ، ومُباحْ!
كلّ ليلٍ وصباحْ!
فهوَ أغلى من ذوى القُربى
ومن كلِّ المشاعِرْ
لا تَسلني أيها التاريخُ عن شيءٍ
فبي حزنٌ عميقٌ
ومراره!
لا تَسلني
فأنا مثلكَ حائِرْ
إنني كدتُ أشُكُّ الآن أنّا عربٌ
كانَ يوماً ما لنا أصلٌ
وتاريخٌ
وعمقٌ
وجذورٌ
وتراثٌ.. وحضاره !!



لا عزاء!

لا عَزاءْ
لا تقلْ كُنّا وكانْ
هذهِ الأُمَّةُ ماتت من زمانْ
لا عَزاءْ
من يَمُتْ مستسلِماً فوق فراشٍ ناعمٍ
ووثيرْ
وسَريرٍ من حريرْ
يَستحقّ الموتَ آلافاً من المرّاتِ
في كلّ مكانْ
من يَعِشْ في مُلكِه المزعومِ
مكتوفَ الأيادي
دون حولٍ

كالأسيرْ
يستحقّ العيش ما بين الجوارى والنّساءْ
أَمَةً فى حضنِ مولاها
إذا جَنَّ المساءْ
وإذا أسْفَرَ وجهُ الصبحِ صارت
لا تساوى عند من رَاوَدَها عن نفسها
سعرَ الحِذاءْ !
لا عَزَاءْ
من يشَأْ أن يركَبَ الموجَةَ أو يمضى ذليلاً
فى ركابِ المِهرَجانْ
يعبد الأصنامَ والأوثانَ مذعورًا
أمام الصولجانْ!
دون رفضٍ وإباءْ !
دونَ صوتٍ قد يَشُقُّ الليلَ أو يُعلِنُ عن شىءٍ
قديمٍ قِدَمَ الكونِ

يُسمَّى الكبرياءْ
يَستحِقّ العارَ مَنبوذًا ومذمومًا ومشنوقًا
بحبلٍ من هوانْ !
دونَ أن يُبكَى عليْهِ
دونَ أن تمتدَّ أيدينا إليْهِ
دونَ أن ننشُرَ نعياً أو عباراتِ افتقادِ
ورثاءْ!
مالنا لمَّا نزلْ نبكي على أطلالنا مُنذُ امرئِ
القيسِ وحتى كربلاءْ
لا عَزاءْ!
لا عَزاءْ!
لا عَزاءْ!

***

هذه الأُمَّةُ داست مجدَها ثُمَّ أهالتْ
فوقَ عينيهِ التُّرابْ!

واكتفت باللومِ أحيانًا
وبالتنديدِ فى كلِّ بيانٍ وخطابْ
لم تعُدْ تقرأ ماضيها .. أضاعت صفحةً
ناصِعَةً
من بينِ طيّاتِ الكتابْ
مزّقتْ كلَّ الثيابْ!
ومَشَتْ عاريَةً فى شارِعِ الأوهامِ
من غيرِ إهابْ!
فى العراءْ
تحتَ أمطارِ الشّتاءْ
تسألُ السلطانَ أن يمنَحَها صَكَّ الأمانْ
علّها تنجو قليلاً!
أو عساها لا تُدانْ!
وهى تدعو كُلّما صَلّتْ وصامتْ
ويداها للسّماءْ

فى قنوطٍ ورجاءْ
أن يَعُزَّ اللّهُ مولاها
فكم جادَ عليها وأفاءْ!
لا عَزاءْ!
لا عَزاءْ!
لا عَزاءْ!

***

هذهِ الأُمَّةُ صارت
كغُثاءِ السيلِ يأبى ملْكها أن يتكاتَفْ
كلّ سُلطانٍ عظيم فوقَ متنِ العرشِ مذعورٌ
وموتورٌ، وواجِفْ!
قد نَسِينا لُغةَ الضادِ
وأمرَ اللّهِ فى القرآنِ .. لم نشحذْ قوانا
ورِباطَ الخيلِ كى نَصمُدَ
فى وجهِ عصاباتِ التحالُفْ

آه ما أشبَه هذا اليومَ بالأمسِ وقد صرنا

رُعايا

وضحايا

وسبايا

وشظايا

من طوائِفْ

لبقايا أمراءْ

وملوكٍ ضُعفاءْ

أدمنوا المُلكَ ومازالوا عبيداً للثّراءْ!

لا عَزاءْ!

لا عَزاءْ!

لا عَزاءْ!

***

إن تلاشتْ أمّةٌ كان لها السبقُ

وصارتْ

في مهبِّ الريحِ
أضحَتْ ريشَةَ حيرى
بكفيِّ الهواءْ
لا عَزاءْ!

***

إن تقاعسنا .. وغبنا
ونسينا منهجَ التاريخ و«الجغرافيا»
وخطوطَ الطولِ والعرضِ
ولم نأبَهْ
ولم يُصبح لدينا
أيُّ أمجادٍ عريقه
أو جذورٍ
وتقاليد عميقه
وانتماءْ
لا عَزاءْ!

***

إن فَشِلنا فى دروسِ النحوِ والصرفِ

وما عاد لدينا

أىُّ مخزونٍ قديمٍ

أو رصيدْ

وبرِئنا من تُراثٍ لم يَعُدْ فيهِ جديدْ

لامرئِ القيسِ وقيسٍ وكثيْرٍ وزُهيرٍ وابنِ

حزمٍ

وابنِ زيدونَ

وروحِ المتنبى .. والبَهاءْ

بعدَ أن ضِقنا كثيرا بخيالِ الشعراءْ!

لا عَزاءْ!

***

إنْ بَغتْ طائِفةٌ موتورةٌ حمقَى

وصالتْ بالأباتشى

تَذبحُ الأطفالَ والنسوةَ
تجتاحُ المصلينَ
تَبُثُّ الذُعرَ في قلبِ المدينهْ
تَحرِقُ الأحلامَ بالقنابل
تَجتثُّ من الأرضِ السكينه
وتدوسُ الأبرياءْ
لا عَزاءْ!

***

إن غَدَتْ كلُّ فلسطينَ نعوشًا
وقبورا
كلّ يومٍ تدفَعُ الأرواحَ للأرضِ
مهورا
وهي تَلقى من بني صهيونَ ويلاً
وثُبورا
إن بدا كلُّ ثراها

موئلاً للشُهداءْ
لا عَزاءْ!
لا عَزاءْ!

***

إن طَغَتْ آخرُ صيحاتِ الحضاراتِ
وهَمَّتْ
تَسرقُ التاريخَ من أرضِ العِراقْ!
وهى تدعو للشّقاقْ
من زُقاقٍ لزُقاقْ
وتثيرُ الغَضَبَ المحمومَ فى صدرِ القبائِلْ
من رُبى بغدادَ
للمجدِ الذى يسكنُ فى أحداقِ بابِلْ
وهى تَحتلُ دهاليزَ السماءْ
تُطفئُ الأنجُمَ فى نَيْسانَ
تبدو مُدُنُ الأحلامِ من غيرِ ضياءْ

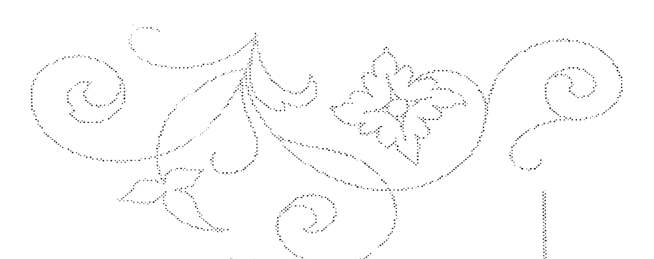
تحرُسُ النفطَ
وتستأثِرُ بالزيتِ بعيدًا
عن صراعاتِ الرِّفاقْ!
بعدَ أن تغسِلَ أرضَ الرافِدَيْنْ
كلَّ يومٍ مَرَّتَيْنْ
بالدماءْ!
فلها أن تفعَلَ الآنَ وبعدَ الآنَ من غيرِ
اعتراضٍ
ما تَشاءْ!
ولنا اللّهُ .. ولكن لا عَزاءْ..
لا عَزاءْ!
لا عَزاءْ!

***

صدر للشاعر

ولكنى أحبك	ديوان شعر	١٩٨٠
مملكة الحب	ديوان شعردار الفكر العربى	١٩٨٢
أشواق وأشواك	ديوان شعر دار الفكر العربى	١٩٨٥
والحب كان الثمن	ديوان شعرالمكتب المصرى الحديث	١٩٩٩
هذا هو القمر	ديوان شعرالدار المصرية اللبنانية	١٩٩٩
الحياة وطن	ديوان شعرالهيئة المصرية للكتاب	٢٠٠٢
الفراشة واللهب	ديوان شعر الهيئة المصرية للكتاب	تحت الطبع
الربيع امرأة	خواطر نثرية روزاليوسف	تحت الطبع

عنوان الشاعر للمراسلة: ج.م.ع القاهرة
هيليوبوليس ١٠٧ شارع هارون الرشيد مصر الجديدة شقة ٣
بريد إلكترونى Ossama tayel @yahoo . com
تليفون: مكتب ٥٧٤١٦٥٢ المحمول ٠١٢٣١٨٠١٣٩ منزل ٦٣٣٣٥٣٢



الفهرست

طبع بمطابع

روزاليوسف